الدلائل الثمانون على عظم قدر النبي – صلى الله عليه وسلم

إعداد: ماجد بن سليمان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمين ، أما بعد:

فقد أكرم الله هذه الأمة باختيار خير خلقه ليكون نبيا لها ورسولا ، وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فكان بحق خير الناس خُلُقا وعِلما وعملا ، ولهذا فإنه أثَّـر في الدنيا بأسرها ، في جنها وإنسها وحتى بهائمها ، فهو بحق رجل عظيم لم يأتِ الزمان بمثله مطلقا ، وليست جوانب عظمة النبي (صلى الله عليه وسلم) محصورة بجوانب معينة ، بل هي عامة لجميع الجوانب ، وفي هذا البحث المختصر سلطت الضوء على تلك الجوانب ، ووجدت أن الدلائل على عِظَم قدر النبي (صلى الله عليه وسلم) تنيف على الثمانين دليلا ، كل دليل مختلف عن الآخر ، هذا بحدود بحثي واستقرائي.

والذي دعاني للقيام بهذا البحث هو الرغبة في تجلية قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم للناس ، وجمع ما هو مفرق في الكتب في هذا الموضوع ، ومما دعاني كذلك هو الرغبة بالمساهمة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في وقت تجرأ فيه بعض السفهاء للنيل من مقامه الجليل ، ولم يعلم هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أحب خلق الله إلى الله ، وخير خلق الله مطلقا.

سدد الله الخطى وبارك في الجهود ، وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الدلائل الثمانون على عِظَمِ قدرِ النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمين ، أما بعد:

فقد اختص الله نبينا محمدا ﷺ بخصائص عظيمة وكثيرة ، جعلته أفضل الأنبياء ، وشريعته أفضل الشرائع ، وأمته أفضل الأمم ، فصار النبي ﷺ بتلك الخصائص والدلائل أعظم الأنبياء والناس قدرا ، وفي هذا الفصل سنتكلم على ما يسر الله الوقوف عليه منها ، وهي ثمانون دليلا[1] ، هذا أوان الشروع في ذكرها:

١. اصطفاء الله له واختياره من بين سائر الناس ليقوم بأعباء الرسالة ، قال الله تعالى لنبيه محمدا ﷺ ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾.

٢. ومن دلائل عِظَمِ قدره ﷺ أن الله تعالى جمع له بين النبوة والرسالة.[2]

٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه من أولي العزم من الرسل ، وأولوا العزم من الرسل خمسة ، هم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح ، عليهم الصلاة والسلام ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن ؛ في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى ، في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[3] ، وكذا في قوله ﴿شَرَعَ لَكُم من الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[4].

---

[1] قَولي إنها ثمانون إنما هو بحدود بحثي واستقرائي ، وفوق كلِّ ذي علم عليم.

[2] اختلف العلماء رحمهم الله في تعريف النبي على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن النبي هو الذي أَوحى الله إليه بوحيٍ ، لينقله إلى المؤمنين الذين عنده ، كأنبياء بني إسرائيل ، يأمرون أقوامهم بما جاء في التوراة التي أُنزلت على موسى ﷺ .

وكذا اختلف العلماء في تعريف الرسول على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن الرسول هو الذي ينبئه الله ، ثم يأمره أن يبلغه رسالته إلى قوم كافرين كما حصل مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويشهد لصحة هذا المعنى أن نوحا وُصف بالرسالة مع أنه قد تقدمه أنبياء على مدى عشرة قرون ، منهم شيث وإدريس عليهما السلام ، وما ذاك إلا لأنه بُعِث لقوم كافرين أول ما وقع الشرك في الأرض ، بخلاف من تقدمه من الأنبياء ، فإنهم بُعِثوا إلى قوم مؤمنين.

وعلى هذا فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا.

انظر كتاب «النبوات» ، (٢/٧١٤ ، ٧١٧) ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد العزيز بن صالح الطويان ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

[3] سورة الأحزاب ، الآية: ٧ .

[4] سورة الشورى ، الآية: ١٣ ، وانظر تقرير ابن كثير لهذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾.

٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من الآيات الكثيرة الدالة على نبوته ، فقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والآيات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصِدق رسالته ، ودلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة ، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه «إغاثة اللهفان»[١] أنها تزيد على الألف ، وهذا من رحمة الله بعباده ، ليكون ذلك أدعى للاقتناع والإيمان بنبوته ﷺ ، وقاطعًا لحجة من خالفه.

٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله اختصه بآية خالدة مستمرة من حين بُعِث إلى يوم القيامة ، وهي القرآن الكريم ، فإن آيات الأنبياء قاطبة انقضت بموتهم ، ولم يبق لهم معجزة إلا ما حكاه أتباعهم عنهم مما شوهد في زمانهم ، أما القرآن فمعجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[٢]

٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن في الآيات التي أوتيها ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره من الأنبياء ، فتفجير الماء من بين أصابعه[٣] مثلا أبلغ في خرق العادة من تفجير الحجر لموسى عليه السلام ، لأن جنس الأحجار مما ينفجر منه الماء ، أما الأصابع فليست من جنس ما ينفجر منه الماء ، فصار انفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.
وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه – وهو الذي وُلد أعمى – مع بقاء عينه في مقرها ، أما رسول الله ﷺ فرد العين بعد أن سالت على الخد ، وهذا أعظم من آية عيسى من وجهين: الأولى التئامها بعد سيلانها على الخد ، والأخرى رد البصر إليها بعد فقده منها.

٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أنزل عليه أحسن كتبه وهو القرآن الكريم ، وهو أحسن من غيره من جهة أسلوبه وما تضمنه من شرائع حسنة ، كما أنه أحسن من غيره من جهة أنه محفوظ من التبديل والتحريف.

---

[١] ص ١١٠٧ .

[٢] رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢) ، واللفظ لمسلم.

[٣] روى قصة تفجير الماء من بين أصابع النبي ﷺ البخاري (٣٥٧٦) عن جابر رضي الله عنه ، ورواه النسائي (٧٧) والترمذي (٣٦٣٣) وأحمد (٤٦٠/١) والدارمي في المقدمة ، باب «ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه» ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أنزل عليه أحسن شرائعه ، وجعلها مشتملة على ما اشتملت عليه جميع الكتب السماوية من الشرائع الحسنة وزيادة.

٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أوحى إليه بالسُّنة ، وهي المتضمنة لتفاصيل الشريعة.[١]

١٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أرسله للناس كافة ، إنسُهم وجِنُّهم ، بينما أرسل غيره من إخوانه الأنبياء إلى أقوامهم خاصة ، قال تعالى ﴿وأرسلناك للناس كافة﴾ ، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، وقال تعالى ﴿وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ ... ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.

وداعي الله المذكور في الآية هو النبي محمد ﷺ فهو الذي سمعوه يقرأ القرآن.

وقال ﷺ : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود.[٢]

أراد بالأسود والأحمر جميع العالم ، والأحمر هو الأبيض ، فإن العرب تُسمِّي الأحمر أبيض.[٣]

١١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ كون الله تعالى ختم به النبوات والرسالات ، ولهذا سمي بخاتم النبيين ، قال الله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[٤].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَةٍ من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويَعجبون له ويقولون: هلا وُضِعت هذه اللبِنَة؟

قال رسول الله ﷺ : فأنا اللَّبِنة ، وأنا خاتم النبيين.[٥]

١٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أخذ الميثاق على الرسل جميعا أنه إذا خرج فيهم النبي محمد ﷺ أن يؤمنون به وينصرونه ، والدليل على هذا قول الله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم

---

[١] انظر لمعرفة ما تميزت به الشريعة الإسلامية من خصائص عظيمة كتاب: «خصائص الشريعة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر رحمه الله.

[٢] رواه مسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

[٣] قاله ابن الأثير رحمه الله في «جامع الأصول» (٦/٢٣٢) ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، ط ١ ، سنة ١٤٣٢ ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[٤] سورة الأحزاب: الآية ٤٠ .

[٥] رواه البخاري (٣٥٣٤) ، ومسلم (٢٢٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّهُ قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[1].

وتفسير الآية: واذكر أيها الرسول إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء لَئِنْ آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدقٌ لما معكم من الكتب لتؤمنن به ولتنصرنَّه. فلما أقرُّوا بذلك قال: فليشهدْ بعضكم على بعض ، واشهدوا على أمَـمِكم بذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ ، وأَخَذَ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي في الحقيقة معجزة لخاتمهم محمد ﷺ ، وذلك أن كلا منهم بَشَّر بمبعثه ، وأُمِر بمتابعته ، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلكم إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[2].[3]

وقال أيضا في تفسير الآية المتقدمة:

فالرسول محمد خاتم الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذي لو وُجِد في أي عصر لكان هو الواجب طاعته ، المُقدَّم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود[4] الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتى تنتهي النوبة إليه ، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.[5]

١٣. ومن دلائل عظم قدره أن التوراة والإنجيل قد بشرت به وذكرت صفته ، وهما أقرب الكتب إلى القرآن الكريم وإلى وقت خروج النبي ﷺ ، وهذا قدر زائد على مجرد أخذ الميثاق عليهم في حياتهم أن يؤمنوا

---

[1] سورة آل عمران: الآية ٨١ .

[2] سورة آل عمران: ٨١ .

[3] «البداية والنهاية» (٣٨٢/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء.

[4] أي كونه شفيع الناس في المحشر هو المقام المحمود المذكور في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾.

[5] «تفسير القرآن العظيم» ، باختصار يسير.

به وينصروه إذا خرج وهو فيهم ، قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[1].

أقول: والأناجيل المتوافرة بأيدي اليهود والنصارى اليوم، وكذلك التوراة المتوافرة بأيدي اليهود، كلها تتضمن ما يقرب من ثلاثين إشارة إلى النبي محمد ﷺ ، ولهذا قال ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة: وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم. انتهى.

أقول: وقد صدرت بحوث معاصرة باللغتين العربية والإنجليزية في هذا الموضوع ، وهي منشورة بحمد الله.

١٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى قد جمع فيه ما تفرق في غيره من الأنبياء مما اختصهم به ، وهو الخُلَّة والكلام والنبوة والرسالة ، والخلة هي أعظم المحبة ، فهو خليل الله ، والله خليله ، وهو يشترك فيها مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
وكذلك الكلام ؛ فقد كلمه الله يوم عُرِج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس.
كذلك فقد وصفه الله بالنبوة والرسالة في آيات كثيرة ، كقوله تعالى ﴿يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ، وقوله ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾.
وهذه الصفات الأربع لم تجتمع في نبي قط إلا في نبينا محمد ﷺ .

١٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى اتخذه خليلاً ، والخُلَّة أعلى درجات المحبة ، كما قال ﷺ : وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا.[2]

١٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى فضله على جميع الخلق أولهم وآخرهم ، الأنبياء وغيرهم ، في الدنيا والآخرة ، وفي الآخرة يتجلى هذا بكل وضوح ، فقد قال ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة.[3]
وقال ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر.[4]

---

[1] سورة الأعراف: الآية ١٥٧ .

[2] رواه مسلم (٢٣٨٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[3] رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] رواه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

وقال ﷺ : إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، غير فخر.[1]

١٧. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه أتقى الناس وأعلمهم بالله تعالى ، كما قال ﷺ لصحابته: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له.[2]

١٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله جعله قدوة للناس ومثالا أعلى ، وأمر الناس كلهم بالاقتداء به مطلقا في ثلاث وثلاثين موضعا من القرآن[3] ، منها قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[4] ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: هذه الآية الكريمة أصلٌ كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله. انتهى.

ومن الأدلة على وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[6] ، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾[7]، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

١٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن من اقتدى به صار عظيما ، فالصحابة رضوان الله عليهم اقتدوا به أكمل ما يكون الاقتداء فصاروا من أعظم الناس ، ثم التابعون ومن بعدهم من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، ثم من بعدهم من العلماء والقادة ، على مر العصور والدهور ، كلهم اقتدوا

وقوله (ولا فخر) أي: ولا أقوله تفاخرا ، بل اعتدادا بفضله (أي فضل الله علي) ، وتحدثا بنعمته ، وتبليغا لما أمرت به. انظر «تحفة الأحوذي» للمباركفوري.

[1] رواه أحمد في «المسند» (١٣٧/٥) عن أُبَي بن كعب عن أبيه ، وقال محققو «المسند» (١٦٩/٣٥): صحيح لغيره.

وقوله (غير فخر) أي: ولا أقوله تفاخرا ، بل اعتدادا بفضله (أي فضل الله علي) ، وتحدثا بنعمته ، وتبليغا لما أمرت به. انظر «تحفة الأحوذي» للمباركفوري في شرح نظير هذا الحديث ، وهو الحديث الذي رواه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[2] رواه البخاري (٥٠٦٣).

[3] قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمر الله بطاعته في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن ، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١٩).

وهكذا قال الآجري في «الشريعة» ، ص ٤٩ .

[4] سورة الأحزاب: ٢١ .

[5] سورة الحشر: ٧ ، وهذه الآية تفيد أن الله تعالى أوجب في القرآن أخذ كل ما أتى به الرسول ﷺ جملة وتفصيلاً.

[6] سورة آل عمران: ٣٢ .

[7] سورة الأنفال: ٢٠ .

برسول الله ﷺ ، فعلى شأنهم ، وارتفع قدرهم ، واهتدى الناس بعلمهم ، تحقيقا لقول الله تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ ، فلا زال الناس يذكرونهم بالجميل ، ويدعون لهم بالرحمة والمغفرة ، وعملهم المدون في الكتب يزداد مع الأيام ولا يتوقف لما استفاد الناس منه.

٢٠. ومن دلائل عِظم قدره وجوب محبته على الناس أجمعين ، وأنه لا يتم إيمان المرء حتى يكون أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين ، كما قال ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.[١]

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر.[٢]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار.[٣]

٢١. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ وجوب التأدب معه بقدرٍ زائدٍ عن القدر الواجب مع غيره ، فمن ذلك أن الشريعة جاءت بتحريم نداءه باسمه مجردا كقول (يا محمد) ، وقد جاء هذا النهي في قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[٤].

بل الواجب هو نداؤه بصيغة النبوة والرسالة ، كقول: يا نبي الله ، يا رسول الله.

كذلك فقد جاءت الشريعة بتحريم التنازع عنده ، توقيرا له ، فإنه لما اختلف عنده بعض الصحابة وكثر اللغط ؛ قال: قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع.[٥]

---

[١] رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[٢] رواه البخاري (٦٦٣٢).

[٣] رواه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) ، واللفظ لمسلم.

[٤] النور: ٦٣ .

[٥] رواه البخاري (١١٤).

كذلك فقد جاءت الشريعة بتحريم رفع الصوت فوق صوته ، وبيان أن ذلك موجب لحبوط العمل ، كما قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

٢٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله قرن حقه بحقه في ثلاث مواطن: في الإيمان به ، وفي طاعته ، وفي محبته ، فأما الإيمان به فقد قال ﴿**آمنوا** بالله ورسوله﴾[١] ، وقوله ﴿**وأطيعوا** الله والرسول لعلكم ترحمون﴾[٢] ، وقوله ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها **أحب إليكم من الله ورسوله** وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتيكم الله بأمره﴾[٣].

كذلك فقد قرن الله النهي عن ارتكاب معصيته بالنهي عن ارتكاب معصية النبي ﷺ فقال ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[٤].

٢٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنّ الله رفع ذِكره رَفعا عظيما كما قال تعالى ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[٥] ، فجعل فجعل اسمه جزءا من شهادة التوحيد ، «أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله» ، ولا يذكر الله تعالى إلا وذكر معه النبي ﷺ ، في الأذان والإقامة والخطب وفي الصلاة – في التشهد والتحيات – وكثير من الأذكار والأدعية ، فذكر النبي ﷺ يدوي في كل مكان من الأرض ، وليس بشر في الدنيا يُذكر ويُثنى عليه كما يذكر النبي ﷺ ويُثنى عليه.

فذكره ﷺ دائم لا ينقطع ، فمنارات المساجد تهتف بذكره كل يوم خمس مرات في نداء الأذان والإقامة ، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أ لم تر أن الله أخلد ذِكره ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشقَّ له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

---

[١] سورة الحديد: ٧ .

[٢] سورة آل عمران: ١٣٢ .

[٣] سورة النساء: ١٤ .

[٤] سورة النساء: ١٤ .

[٥] سورة الشرح: ٤ .

٢٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أَمَـرَ الله تعالى بالصلاة والسلام عليه ﷺ في عموم الأحوال ، وفي أحوال خاصة كالتشهد في الصلاة وفي يوم الجمعة وفي الخطبة وفي صلاة الجنازة وبعد الآذان وعند الدعاء ، وغيرها من المواطن ، وترتيب الأجر العظيم على ذلك ، وهذا تنبيه على شريف منزلته وعظم قدره ، إذْ أن الله صلى عليه ، وأمر الـملائكة بالصلاة والسلام عليه ، ثم أمر تعالى المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ، فاجتمع أهل العالم العلوي والسفلي بالصلاة والتسليم عليه.

ومعنى الصلاة على النبي هي الثناء عليه ، وعلى هذا فإذا قال الداعي: اللهم صَلِّ على محمد، أي اللهم اثنِ عليه وزده رفعة وقدرا.

قال أبو العالية: صلاة الله ؛ ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة ؛ الدعاء.[١]

٢٥. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الصلاة عليه من أسباب إجابة الدعاء ، والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاةٍ لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : (عَجِلت أيها المصلي) ، ثم علمهم رسول الله ﷺ .

وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي[٢] ، فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ادعُ تُجب ، وسلْ تعطَ.[٣]

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال للرجل: عَجِل هذا ، ثم دعاه ، فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم ليدع بعد بما شاء.[٤]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ .[٥]

٢٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أقسم بحياته ، فقال تعالى ﴿لعَمرُك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾[١] ، والإقسام بعُمرِ النبي ﷺ — أي حياته – يدل على شرفه عند المقسِم به ، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ .

---

[١] رواه البخاري تعليقا في صحيحه في تفسير سورة الأحزاب.

[٢] أي يدعو ، لأن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء.

[٣] رواه النسائي (١٢٨٣) والترمذي (٣٤٧٦) وأبو داود (١٣٣١) ، عن فضالة بن عبيد ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٤] رواه الترمذي (٣٤٧٧) ، وابن خزيمة (٣٥١/١) ، والبيهقي (١٤٨/٢) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٥] رواه الترمذي (٤٨٦) ، وصححه الألباني رحمه الله.

روى ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون﴾. انتهى.

وقوله ﴿لفي سكرتهم﴾: أي في ضلالتهم ، ﴿يعمهون﴾: أي يلعبون.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أقسم تعالى بحياة نبيه ، صلوات الله وسلامه عليه ، وفي هذا تشريف عظيم ، ومقام رفيع ، وجاه عريض. انتهى.

٢٧. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله أقسم بأن يرضيه كما في سورة الضحى ، حيث قال ﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ، أي: ولسوف يعطيك ربك مِن أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك ، وهذا فيه دلالة واضحة على عظيم محبة الله لنبيه محمدا ﷺ .

٢٨. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله وقّره في ندائه ، فلم يخاطبه باسمه قط ، بل ناداه **بأشرف أوصافه** ، وهو النبوة والرسالة ، فقال ﴿يا أيها النبي﴾ و ﴿يا أيها الرسول﴾ ، وهذه الخصِيصة لم تثبت لغيره من إخوانه الأنبياء ، بل ثبت أن الله ناداهم بأسمائهم مجردة ، كما في قوله تعالى ﴿يا آدم اسكن﴾ ، ﴿يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك﴾ ، ﴿يا موسى إني أنا الله﴾ ، ﴿يا نوح اهبط بسلام﴾ ، ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ، ﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ ، ﴿يا لوط إنا رسل ربك﴾ ، ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ ، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾.

وهذه الخصيصة للنبي ﷺ في عدم خطاب الله تعالى له في كتابه الكريم باسمه دون إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تدل على عظيم قدره ، وتدل على شرفه عليهم.

وهنا لفتة لطيفة وهي أن الله تعالى لما أخبر عن النبي فقال ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾[٢] ؛ قال بعدها ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

ويلاحظ هنا أيضا أن الآية ليس فيها نداء للنبي ﷺ ، وإنما هو خبرٌ مجرد من النداء.

٢٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تولى تبرئته بنفسه مما نسبه إليه المشركون من السَّفه والجنون والضلال والسحر والكهانة والجنون وصناعة الشعر ، في حين أن من سبقه من الأنبياء تولوا الدفاع عن أنفسهم

---

[١] سورة الحجر ، الآية ٧٢ .

[٢] سورة الأحزاب: ٤٠ .

فيما وُجِّهَ إليهم من تهم بأنفسهم ، قال الله تعالى عن نوح ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين﴾[1].

وقال عن هود عليه السلام ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين﴾[2].

ولما وصف فرعون وقومه النبي موسى عليه الصلاة والسلام بالسحر رد عليهم فقال ﴿أتقولون للحق لما جاءكم أسحرٌ هذا ولا يفلح الساحرون﴾[3].

أما النبي محمد ﷺ فتولى الله سبحانه وتعالى الدفاع عنه بنفسه ما نسبه إليه الكفار من التهم ، قال الله تعالى ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ ، أي بسبب نعمة ربك عليك فإنك لست بمجنون كما يزعم الكفار.

وقال تعالى ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين﴾.

والآيات في دفاع الله عن نبيه كثيرة ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذلك ظَهِير﴾، ومعنى الآية الكريمة ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

أي: الجميع أعوان للرسول، مُظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة وخواص خلقه أعوانًا لهذا الرسول الكريم. انتهى كلامه.

٣٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن السماء حُرِست من استراق الشياطين للسمع قُـبَيل بعثته ، لئلا يختلط الوحي بكذب الشياطين ، وهذا حدث عظيم ، وقد كانت الشياطين قبل البعثة يسترقون السمع من السماء ، يتسمعون ماذا قال ربنا ، ثم يزيدون عليها كذبات ويلقونها على الكهان ، ثم يلقيها الكهان على الناس بعدما يزيدون فيها كذِبات أيضا ، مُدَّعين بهذا معرفة المغيبات ، قال تعالى حكاية عن الجن ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾.

---

[1] سورة الأعراف: ٦١ .

[2] سورة الأعراف: ٦٧ .

[3] سورة يونس: ٧٧ .

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كِذبة من عند أنفسهم.[١]

٣١. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ ما ذكره ابن كثير رحمه الله عن غير واحد من علماء السيرة أن الأصنام تساقطت لمولده الكريم ، وأن نار فارس التي كانوا يعبدونها خمدت في ليلة مولده ، ولم تَخمِد قبل ذلك بألف عام ، وأنه سقط من شُرُفات قصر كسرى أربع عشرة شُرفة ، مؤذِنة بزوال دولتهم بعد هلاك أربع عشر من ملوكهم في أقصر مدة ، وكان لهم في المُلك قريب من ثلاثة آلاف سنة.[٢]

٣٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ حادثة شق صدره ، واستخراج حظ الشيطان منه ، وقد حصلت للنبي ﷺ مرتين ، الأولى وهو غـــلام قبل البعثة ، والثانية قبيل العروج إلى السماء.[٣]

٣٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من حادثة الإسراء والمعراج ، وتكليمه فوق السماوات ، قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ ، وقد جاء ذكر حادثة الإسراء والمعراج في حديث طويل رواه البخاري[٤] ومسلم[٥].

٣٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أمَّ الأنبياء في الصلاة وذلك ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس قبل عروجه إلى السماء ، قال عليه الصلاة والسلام: فحانت الصلاة فأمَمتُهم.[٦]

٣٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن حصلت له الرفعة الحسية على إخوانه الأنبياء ، وذلك لما عُرِج به إلى السماء ، وصار في مستوى فوق المستوى الذي هم فيه ، وعلا فوق السماوات التي فيها الأنبياء ، وهذا قدر زائد على ما حصل لهم من الرفعة ، قال ابن كثير رحمه الله: ولما كانت ليلة الاسراء رُفِع من

---

[١] رواه البخاري (٣٢١٠).

[٢] «البداية والنهاية» (٤٠٢/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أوتي إبراهيم عليه السلام.

[٣] انظر «صحيح مسلم» (١٦٢) في ذكر الحادثة الأولى ، وانظر للحادثة الثانية ما رواه البخاري (٣٤٩ ، ٣٢٠٧) عن مالك بن أبي صعصعة ، ومسلم (١٦٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

[٤] برقم (٣٢٠٧).

[٥] برقم (١٦٣).

[٦] رواه مسلم (١٧٢).

سماء إلى سماء حتى سلَّم على إدريس عليه السلام ، وهو في السماء الرابعة ، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلَّم على موسى بها ، ثم جاوزه إلى السابعة فسلَّم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرُفِع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام[1] ، وجاء سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيَّعه من كُلِّ سماء مُقربوها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هي الرفعة ، وهذا هو التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلو والعظمة. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. انتهى كلامه رحمه الله.[2]

٣٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله خيَّره بين أن يكون مَلِكا نبيا أو يكون عبدا رسولا فاختار الثانية ، وهذا يتضمن مزيد رفعة وقدر للنبي ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملَكٌ ينزِل ، فقال له جبريل: إن هذا الملَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد ، أرسلَني إليك ربك ، أفملِكًا نبيا يجعلُك أو عبدا رسولا؟

قال جبريل: تواضع لربك يا محمد.

فقال رسول الله ﷺ : بل عبدا رسولا.[3]

قلت: والعبد الرسول أفضل من الملِك النبي من وجهين:

الأول: أن الرسول يكون مبعوثا إلى قوم كافرين ، وأما النبي فيكون مبعوثا إلى قوم مؤمنين ، فمهمة الرسول أصعب فلهذا كان أفضل ، وقد تقدم معنا بيان الفرق بين النبي والرسول في هامش الدليل الثاني.

الوجه الثاني: أنَّ من كان عبدا فإنه لا يتصرف فيما تحت مُلكه إلا بإذن الله ، قال ﷺ : إنما أنا قاسم، والله يعطي.[4]

وأما من كان ملِكا فإنه يتصرف كما يشاء من غير إثم عليه.

---

[1] صريف الأقلام أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[2] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أُعطِي إدريس عليه السلام من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ ، (٤١٩/٦)، ط دار ابن كثير ، دمشق.

[3] رواه أحمد (٧٧/١٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] رواه البخاري (٧١).

فحال الأول أكمل من حال الثاني فيما يتعلق بالعبودية لله تعالى.[1]

فائدة:

من المعلوم أن النبي ﷺ زهِد في الدنيا مع أنها عُرِضت له بين يديه ، كما قال ﷺ لعائشة : والله يا عائشة ، لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة.[2]

قال ابن كثير رحمه الله: وكم آثر بالألوف المؤلفة والإبل والشاه والهدايا على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين.[3]

٣٧. ومن دلائل عِظمِ قدره ﷺ أن قرنه هو خير القرون قاطبة منذ خلق الله الخليقة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا ، حتى كنت من القرن الذي كنت منه.[4]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟

قال: القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث.[5]

٣٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أَطْلَعَهُ على أمور غيبية لم يُطلِع عليها أحدا من الأنبياء قبله ، ورآها رأي عين ، فمن ذلك ما جاء في قوله ﷺ : اطَّلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطَّلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء.[6]

ومن ذلك ما جاء في حديث الإسراء والمعراج أنه ﷺ قال: ... ثم أُدِخلت الجنة فإذا فيها جَنابذ اللؤلؤ ، وإذا تُرابها المسك.[7]

والجنابذ جمع جُنبُذة وهي القُبة.[8]

---

[1] انظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «النبوات» (١٦٣ ، ٨٤١) ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض ، وانظر أيضا «مجموع الفتاوى» (١٨٠/١١-١٨٢) ، (٨٩/١٣).

[2] انظر تخريجه موسعا في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦٣٤/٥) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

[3] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، قصة الأعمى الذي رد الله إليه بصره وقصص أخرى ، (٤٣٧/٦).

[4] رواه البخاري (٣٥٥٧).

[5] رواه مسلم (٢٥٣٦).

[6] رواه البخاري (٦٥٤٦) عن عمران بن حصين ، ورواه مسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[7] رواه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر رضي الله عنه.

[8] انظر «النهاية» لابن الأثير رحمه الله.

قال ابن حبان رحمه الله: اطِّلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معا كان بجسمه ونظره العِيان تفضلا من الله جل وعلا عليه ، وفرقا فرَّق به بينه وبين سائر الأنبياء.[1]

٣٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما ميزه الله تعالى به من شرف النسب ، وكريم الحسب ، وصفاء النشأة ، قال ﷺ : إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم.[2]

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله.

فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلَق الخلق فجعلني في خيرِ خلْقِهِ ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا.[3]

٤٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ تشريف آل بيته من أجله تشريفا خاصا ، ووجوب توقيرهم بالقدر الزائد عن غيرهم ، وآل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وزوجات النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن ، قال تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[4] ، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هٰهنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية.

والدليل على الوصية بآل بيت النبي ﷺ قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: أُذكرِّكم الله في أهل بيتي ، أُذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.[5]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (أرقُبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[6].

٤١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن من اجتمع به ولو لحظة واحدة صار صحابيا ونال شرف الصحبة ، بشرط أن يكون مؤمنا ويموت على ذلك.

---

[1] انظر «صحيح ابن حبان» (١٦/٤٩٥).

[2] رواه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

[3] رواه أحمد (١/٢١٠) والترمذي (٣٦٠٨) ، وحسنه الألباني ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[4] سورة الأحزاب: ٣٤ .

[5] تقدم تخريجه.

[6] رواه البخاري (٣٧١٣).

٤٢. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه أوتِي جوامع الكلم ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أُعطيتُ جوامع الكلم ... الحديث.[١]

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: كلامه ﷺ كان بالجوامع ، قليل اللفظ ، كثير المعاني.

٤٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أثنى على عِظم خُلُقه فقال ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٢].

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية كما في تتمة «الأضواء» لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله:

وقد أرشدَت عائشة رضي الله عنها إلى ما يبيِّن هذا الإجمال[٣] حينما سُئلت عن خلقه ﷺ الذي امتُدح به فقالت: (كان خلقه القرآن)[٤] ، تعني – والله تعالى أعلم – أنه ﷺ يأتمر بأمره وينتهي بنواهيه بنواهيه ، كما في قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

وكما في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى للتي هيَ أَقْوَمُ﴾.

وكما قال ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.[٥]

فكان هو ﷺ ممتثلاً لتعاليم القرآن في سيرته كلها ، وقد أُمرنا بالتأسي به صلوات الله وسلامه عليه ، فكان من أهم ما يجب على الأمة معرفة تفصيل هذا الإجمال ليتم التأسي المطلوب.

وقد أَخذَت قضية الأخلاق عامةً وأخلاقُهُ ﷺ خاصةً محل الصدارة من مباحث الباحثِين وتقرير المرشِدين ، فهي بالنسبة للعموم أساسُ قِوام الأمم ، وعامل الحفاظ على بقائها ، كما قيل:

إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذَهبوا

وقد أجمل ﷺ بِعثته كلها في مكارم الأخلاق في قوله ﷺ : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.[٦]

---

[١] رواه مسلم (٥٢٣).

[٢] سورة القلم: ٤ .

[٣] يَقصد بالمجمل لفظ الخلق الوارد في قوله تعالى ﴿وإنك لعل خلق عظيم﴾.

[٤] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨) وفي سنده يزيد بن بانوس وهو مجهول ، ولذا ضعفه الألباني في تحقيقه للكتاب ، ويغني عنه قول عائشة رضي الله عنها لما سألها جبير بن نفير عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: القرآن. رواه أحمد (١٨٨/٦) وصححه محققو «المسند».

[٥] رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) بنحوه ، وضعفه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٣/٢) «الناشر: مؤسسة الرسالة» ، وكذا ضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٢/١).

[٦] رواه أحمد (٣٨١/٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) والبزار (٨٩٩٤) واللفظ له ، وصححه محققو «المسند» ، والألباني في «الصحيحة» (٤٥).

وقد عُنِي أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله تعالى عليهم بقضية أخلاقه بعد نزول هذه الآية ، فسألوا عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: (كان خلقه القرآن) ، وعُنِي بها العلماء بالتأليف ك «الشمائل» للترمذي.

أما أقوال المفسرين في الخلق العظيم المعني هنا فهي على قولين لا تعارض بينهما ، منها أنه **الدين** ، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم.

والآخر قول عائشة (كان خلقه **القرآن**) ، والقرآن والدين مرتبطان ، ولكن لم يزل الإجمال موجوداً ، وإذا رجعنا إلى بعض الآيات في القرآن نجد بعض البيان لما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق ، مثل قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1] ، وقوله ﴿لَقَدْ جاءكم رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ، وقوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾[3] ، وقوله ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4] ، ومثل ذلك من الآيات التي فيها التوجيه أو الوصف بما هو أعظم الأخلاق.

وإذا كان خلقه ﷺ هو القرآن ؛ فالقرآن يهدي للتي هي أقوم.

والمتأمل للقرآن في هديه يجد مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه ، حتى العبادات ، ففي الصلاة خشوع وخضوع وسكينة ووقار ، (فأتوها وعليكم السكينة والوقار)[5].

وفي الزكاة مروءة وكرم ، ﴿يا أيها الَّذِينَ آمنوا لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ والأذى﴾[6] ، وقوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جزاء وَلاَ شُكُوراً﴾[7].

وفي الصيام: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.[8]

وقوله ﷺ : الصيام جنة.[1]

---

[1] سورة الأعراف: ١٩٩ .

[2] سورة التوبة: ١٢٨ .

[3] سورة آل عمران: ١٥٩ .

[4] سورة النحل: ١٢٥ .

[5] رواه البخاري (٩٠٨) ومسلم (٦٠٢) ولفظه عند مسلم: إذا ثُوِّب للصلاة فلا يسعَ إليها أحدكم ، ولكن ليمشِ وعليه السكينة والوقار.

[6] سورة البقرة: ٢٦٤ .

[7] سورة المرسلات: ٩ .

[8] رواه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الحج: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٢].

وفي الاجتماعيات خوطب ﷺ بأعلى درجات الأخلاق ، حتى ولو لم يكن داخلاً تحت الخطاب ، لأنه ليس خارجاً عن نطاق الطلب ، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ، ثم يأتي بعدها ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لهما أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ربياني صَغِيرًا﴾[٣] ، مع أن والديه لم يكن أحدهما موجوداً عند نزولها ، إلى غير ذلك من التعاليم العامة والخاصة التي اشتمل عليها القرآن.

وقد عُنِي ﷺ بالأخلاق حتى كان يوصي بها المبعوثين في كل مكان ، كما أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله: اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن.[٤]

وقال ﷺ : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء.[٥]

أي إن الحياء وهو من أخص الأخلاق سياج من الرذائل ، وهذا مما يؤكد أن الخلق الحسن يحمل على الفضائل ويمنع من الرذائل ، كما قيل في ذلك:

إن الكريم إذا تمكَّن من أذى ... جاءته أخلاق الكرام فأقلعا

وترى اللَّئيم إذا تمكَّن من أذى ... يَطغى فلا يُبقِي لصُلحٍ موضعا

وقد أشار القرآن إلى هذا الجانب في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السراء والضراء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦].

تنبيه

إن من أهم قضايا الأخلاق بيانَهُ ﷺ لها بقوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، مع أن بِعثته بالتوحيد والعبادات والمعاملات وغير ذلك مما يجعل الأخلاق هي البعثة ، وبيان ذلك في قضية منطقية قطعية ، مقدمتها حديث صحيح وهو (الدين حسن الخلق) ، والكبرى آية كريمة ، قوله تعالى ﴿ليس الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ولكن الْبِرَّ مَنْ آمن بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَالْمَلاَئِكَة

---

[١] رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم عقب حديث (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] سورة البقرة: ١٩٧ .

[٣] سورة الإسرء: ٢٣ – ٢٤ .

[٤] رواه أحمد (١٥٣/٥) وغيره من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وحسنه محققو «المسند».

[٥] رواه البخاري (٣٤٨٣) من حديث أبي مسعود عقبة بن عمر البدري رضي الله عنه.

[٦] سورة آل عمران: ١٣٤ .

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وآتى المالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ والسائلين وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصلاة وآتى الزكاة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي البأساء والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أولئك الَّذِينَ صَدَقُوا وأولئك هُمُ الْمُتَّقُون﴾[1].

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الدين كله بأقسامه الثلاثة ، الإسلام من صلاة وزكاة إلخ ، والإيمان بالله وملائكته إلخ ، ومن إحسان في وفاء وصدق وصبر وتقوى الله تعالى ، إذ هي مراقبة الله سرّاً وعلناً ، وقد ظهرت نتيجة عِظم هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة في قوله تعالى ﴿وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِين﴾[2].

وكذلك للأمة يوم القيامة كما قال ﷺ : أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسِنكم أخلاقاً.[3]

فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدّنيا ، ومنزلة عُـلْـيا للمؤمنين في الآخرة.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله باختصار يسير.

وقال ابن كثير رحمه الله في التعليق على قول عائشة المتقدم (كان خلقه القرآن):

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له ، وخلُقا تطبَّـعهُ ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي "أُف" قط ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟[4]

وكان ﷺ أحسن الناس خلقا.[5] انتهى باختصار يسير.

ومن المعلوم أن الله تعالى قد آتى الله نبيه محمدا ﷺ من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلٰهية ما لم يؤتَـه نبي قبله ، وهذا معلوم باستقراء سيرته وسيرة من قبله من الأنبياء.

---

[1] سورة البقرة: ١٧٧ .

[2] سورة الأنبياء: ١٣٤ .

[3] رواه الترمذي (٢٠١٨) عن جابر رضي الله عنه.

[4] انظر البخاري (٢٧٦٨ ، ٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩).

[5] رواه مسلم (٢٣١٠) عن أنس رضي الله عنه.

٤٤. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله تعالى وصفه الله بأوصاف لم يصف بها أحد قبله ، فقد وصفه بالشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير كما في سورة الأحزاب (الآيتين ٤٥ – ٤٦) ، ووصفه بأنه رحمة للعالمين ، وأنه ذو خلق عظيم.

٤٥. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ تعدد أسمائه ، فإن تعدد الأسماء تدل على عَظمة من تسمى بها ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً ، فقال: أنا محمد ، وأحمد ، والمُقَفِّي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة.[١]

وعن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء: أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب.[٢]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد»[٣]:

فصل في أسمائه

وكلها نعوتٌ ، ليست أعلاما محضة ، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

فمنها **محمد** وهو أشهرها وبه سمي في التوراة صريحا.

ومنها **أحمد** وهو الاسم الذي سماه به المسيح لسرٍّ ذكرناه في ذلك الكتاب[٤].

ومنها **المتوكل** ، ومنها **الماحي والحاشر والعاقب والمُـقَـفِّي ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفاتح والأمين**.

ويُلحق بهذه الأسماء **الشاهد** ، **والمبشر** ، **والبشير** ، **والنذير** ، **والقاسم** ، **والضَّحوك** ، **والقَتّال** ، **وعبد الله** ، **والسراج المنير** ، **وسيد ولد آدم** ، **وصاحب لواء الحمد** ، **وصاحب المقام المحمود** ، وغير ذلك من الأسماء ، لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدحٍ فله من كل وصفٍ اسم.

وقال جبير بن مطعم: قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء: أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب.

---

[١] رواه مسلم (٢٣٥٥).

[٢] رواه البخاري (٣٥٣٢).

[٣] (٨٦/١) ، الناشر: مؤسسة الرسالة.

[٤] أي كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام».

وفي رواية لمسلم: وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد.[1]

وأسماؤه ﷺ نوعان: **أحدهما** خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل ، كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة.

والثاني ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ، ولكن له منه كماله ، فهو مختص بكماله دون أصله ، كرسول الله ، ونبيه ، وعبده ، والشاهد ، والمبشر ، والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة.

وأما إن جُعل له من كل وصف من أوصافه اسم ؛ تجاوزت أسماؤه المائتين ، كالصادق والمصدوق والرؤوف والرحيم إلى أمثال ذلك.

فصل في شرح معاني أسمائه

أما **محمد** فهو اسم مفعول ، من حمد فهو محمد ، إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها ، ولذلك كان أبلغ من محمود ، فإن محمودا من الثلاثي المجرد ، ومحمد من المضاعف للمبالغة ، فهو الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره من البشر ، ولهذا والله أعلم سمي به[2] في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وُصف بها هو ودينه وأمته في التوراة ، حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم.

وأما **أحمد** فهو اسمٌ على زنة أفعل التفضيل ، مشتق أيضا من الحمد.

وقد اختلف الناس فيه ؛ هل هو بمعنى فاعل أو مفعول.

فقالت طائفة هو بمعنى الفاعل ، أي حمده لله أكثر من حمد غيره له ، فمعناه أحمد الحامدين لربه.

وعلى قولٍ ؛ أحق الناس وأولاهم بأن يحمد ، فيكون كمحمد في المعنى ، إلا أن الفرق بينهما أن محمدا هو كثير الخصال التي يحمد عليها ، وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره ، فمحمد في الكثرة والكمية ، وأحمد في الصفة والكيفية ، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره ، فيحمد أكثر حمدٍ وأفضل حمدٍ حمده البشر.[3]

---

[1] رواه البخاري (٣٥٣٢) ، ومسلم (٢٣٥٤).

[2] أي سُمِّي بـ «محمد».

[3] ومن اللطائف العلمية ما ذكره القاضي عياض رحمه الله ، قال:

«محمد» مُفَعَّل ، مبالغة من كثرة الحمد ، فهو ﷺ أجل من حَمِدَ ، وأفضل من حَمِدَ ، وأكثر الناس حمدا ، فهو أحمد المحمودين ، وأحمد الحامدين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ، ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ، ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده ، يحمده فيه الأولون والآخِرون بشفاعته لهم ، ويُفتح عليه فيه من المحامد ما لم يُعط غيرُه ، وسُمِّي أمته في كتب أنبيائه بالحمادين ، فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد.

وأما اسمه **المتوكل** ؛ ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ : محمد رسول الله ، عبدي ورسولي ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، بل يعفو ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا «لا إله إلا الله» ، وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلا لم يَشْرَكه فيه غيره.

وأما **الماحي والحاشر والمُقَفِّي والعاقب** فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم ، **فالماحي** هو الذي محا الله به الكفر ، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ ، فإنه بُعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب ، وهم ما بين عباد أوثان ، ويهود مغضوب عليهم ، ونصارى ضالين ، وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ، وبين عباد الكواكب وعباد النار ، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها ، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

وأما **الحاشر** ؛ فالحشر هو الضم والجمع ، فهو الذي يُحشر الناس على قدمه ، فكأنه بُعث ليحشر الناس.[1]

والعاقب الذي جاء عقب الأنبياء ، فليس بعده نبي ، فإن العاقب هو الآخر ، فهو بمنزلة الخاتم ، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق ، أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

وأما **المُقفِّي** فكذلك ، وهو الذي قَفَى[1] على آثار من تقدمه ، فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل ، فكان خاتمهم وآخرهم.

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر ، وهو أن الله جل اسمه حمى أن يُسمى بهما أحد قبل زمانه ، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يُسمى به أحد غيرَه ، ولا يُدعى به مدعو قبلَه ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك.

وكذلك محمد أيضا لم يُسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قُبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبيا يُبعث اسمه محمدا ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهم محمد بن أُحيحة بن الجُلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن براء البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفي ، ومحمد بن خزاعي السلمي ، ولا سابع لهم.

ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدَّعي النبوة أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه سبب يُشكِّك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ، ولم ينازَع فيهما.

باختصار يسير من «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » ، فصل في أسمائه ﷺ ، وما تضمنته من فضيلته.

[1] معنى قفى في اللغة أي ذهب مُوَلِّيًا ، والمعنى هنا أنه آخر الأنبياء ، فإذا ذهب فلا نبي بعده. انظر «النهاية».

وأما **نبي التوبة** فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض ، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله ، وكان ﷺ أكثر الناس استغفارا وتوبة ، حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور.

وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم ، وأسرع قبولا ، وأسهل تناولا ، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء ، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم ، وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

وأما **نبي الملحمة** فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله ، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته ، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله ، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار ، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

وأما **نبي الرحمة** فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم ، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة ، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده ، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

وأما **الفاتح** فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مُرتجًا[٢] ، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف ، وفتح الله به أمصار الكفار ، وفتـــح به أبواب الجنة ، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ، ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

وأما **الأمين** فهو أحق العالمين بهذا الاسم ، فهو أمين الله على وحيه ودينه ، وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

وأما **الضحوك القتال** فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر ، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين ، غير عابس ، ولا مقطِّب ، ولا غضوب ، ولا فظ ، قتال لأعداء الله ، لا تأخذه فيهم لومة لائم.

وأما **البشير** فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب ، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب.

---

[١] أي يكون الحشر بعد بعثته في الترتيب الزمني ، مع وجود الفاصل الزمني الكبير بين بعثته ويوم الحشر.

[٢] ارتجَ بفتح الجيم وتخفيفها من الارتاج وهو الإغلاق. انظر «لسان العرب».

وقد سماه الله **عبده** في مواضع من كتابه منها قوله ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ ، وقوله ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ ، وقوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ ، وقوله ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾.[1]

وثبت عنه في الصحيح أنه قال: أنا **سيد ولد آدم** يوم القيامة ولا فخر.[2]

وسماه الله **سراجا منيرا** ، وسمى الشمس سراجا وهاجا ، والمنير هو الذي ينير من غير إحراق ، بخلاف الوهاج ؛ فإن فيه نوع إحراق وتوهج. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: وانظر للاستزادة كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي ، باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ ، (١/١٥١).

٤٦. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن أصحابه حفِظوا أوصافه الخَلقِيَّة ونقلوها للناس ، حتى صار القارئ لها كأنما يراه ﷺ رأي عين ، وقد أفردتُ تلك الخصائص في ملحق مستقل بهذا البحث.

٤٧. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه نُصِر بالرعب مسيرة شهر ، فمَن كان مِن أعدائه يبعد منه مسيرة شهر أو أقل فإنه يَفرَقُ منه ويخاف ، كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ، الحديث.[3]

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث:

قَوله: (نُصِرْت بِالرُّعْبِ) ؛ زَادَ أَبُو أُمَامَةَ: (يُقْذَفُ فِي قُلُوب أَعْدَائِي). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.[4]

قَوله (مَسِيرَة شَهْر) مَفْهُومه أَنَّهُ لَمْ يُوجَد لِغَيْرِهِ النَّصْر بِالرُّعْبِ فِي هَذِهِ الْمُدَّة وَلَا فِي أَكْثَر مِنْهَا ، أَمَّا مَا دُونهَا فلا ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْغَايَة شَهْرًا لأنه لَمْ يَكُنْ بَيْن بَلَده وَبَيْن أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَر مِنْهُ ، وَهَذِهِ

---

[1] وصَف الله رسوله بالعبودية في تسع مواضع من القرآن ، كما وصف الله إخوانه الأنبياء بذلك ، عليهم الصلاة والسلام ، انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن».

وفي هذا رد على الذين يتوجهون للأنبياء وقبور الصالحين ببعض أنواع العبادات من دعاء وذبح ونذر وغير ذلك ، إذ أن الأنبياء عبيد مثلهم ، والذي يستحق العبادة هو الله وحده دون ما سواه.

[2] رواه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الألباني. وأما لفظ الصحيح فهو بدون لفظة (ولا فخر) ، رواها مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] سيأتي تخريجه.

[4] «المسند» (٥/٢٤٨) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

الْخُصُوصِيَّة حَاصِلَةٌ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاق حَتَّى لَوْ كَانَ وَحْده بِغَيْرِ عَسْكَر ، وَهَلْ هِيَ حَاصِلَة لِأُمَّتِهِ مِنْ بَعْده؟ فِيهِ اِحْتِمَالٌ. انتهى باختصار.

٤٨. ومن دلائل عِظَمِ قدره ﷺ أن الله تعالى رزقه الشهادة ، فإنه ﷺ أفنى عمُره في سبيل الله ، في الدعوة ، وفي جهاد الكفر والكافرين ، ومنهم اليهود والمنافقين والمشركين ، حتى دسَّ اليهود له السُّم في طعامه ليقضوا على دعوته ، فأثَّر فيه السُّم ، فمات بسببه بعد أن بلَّغ رسالة ربه ، فنال بهذا شرف الموت شهيدا في سبيل الله. قال ابن القيم رحمه الله: فلما أراد الله **إكرامَه بالشهادة** ، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامِن من السُّم ليَقضيَ اللهُ أمرا كان مفعولا.[١]

٤٩. ومن الدلائل على عِظم قدره ﷺ ما جعل الله فيما انفصل من جسده من البركة ، كعرقه ونخامته وشعره ، وكذا فيما اتصل بجسده ولامسه كماء الوضوء ، وقد كان الصحابة يبتدرون إلى ما انفصل من جسم النبي ﷺ ويباشرون به أجسامهم رجاء البركة ، وهذا خاص بالنبي ﷺ ، لم يفعله الصحابة مع غير النبي ﷺ في حياته ولا بعد مماته.[٢]

٥٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من خصائص ذاتية وشرعية ، والمقصود بالذاتية أي الخصائص التي تتعلق بذاته الشريفة ، وأما الشرعية فهي ما اختصه الله به من أحكام شرعية لا يشاركه فيها أحد من الأمة.

وخصائص النبي ﷺ الذاتية متعددة ، منها:

- خاتم النبوة ، وهو علامة من علامات نبوته ﷺ ، وهو مذكور في الكتب السابقة ، كما جاء في قصة بحيرا الراهب ، وقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وهذا الخاتم عبارة عن قطعة لحم ناتئة ، عليها شعر ، عند كتفه الأيسر ، حجمها قدر بيضة الحمامة ، فعن أبي نضرة العَوقي قال: سألت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه عن خاتم رسول الله ﷺ – يعني خاتم النبوة – فقال: كان في ظهره بَضعةٌ ناشِزة.[٣]

---

[١] «زاد المعاد» (١٢٣/٤). وسيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع عند الكلام على عصمته ﷺ من أذى الناس في الدليل الخامس والسبعين.

[٢] انظر للتوسع في مسألة التبرك كتاب «التبرك المشروع والتبرك الممنوع» ، للشيخ علي بن نفيع العلياني ، (الناشر: مدار الوطن – الرياض) ، وكذلك كتاب «التبرك ، أنواعه وأحكامه» ، للشيخ ناصر الجديع ، (الناشر: مكتبة الرشد – الرياض).

[٣] «الشمائل المحمدية» للترمذي (٢١) ، (باب ما جاء في خاتم النبوة) ، وحسنه الشيخ الألباني في «مختصر الشمائل» (١٩) ، وانظر «المسند» (٧٧/٥) عن أبي زيد الأنصاري رضي الله عنه ، فقد سُئِل أبو زيد عن خاتم النبوة لما أدخل يده في قميص النبي ﷺ ومسح على ظهره فقال: شعرات بين كتفيه. قال محققو «المسند» (٣٣٣/٣٤): إسناده قوي على شرط مسلم.

البَضعة هي قطعة اللحم ، وناشزة أي مرتفعة عن الجسم.

وعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتما في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام.[1]

- أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه[2] ، وهو في هذه الخصيصة مشترك مع إخوانه الأنبياء ، فإن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ،كما أخبر بذلك أنس رضي الله عنه[3] لما حدَّث عن ليلة الإسراء بالنبي ﷺ .

قال ابن عبد البر رحمه الله معلقا على هذا الحديث: فتلك من علياء مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم. ولهذا – والله أعلم – قال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي لأن الأنبياء يُفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساووهم في نوم العين ، ولو تسلط النوم على قلوبهم كما يُصنع بغيرهم لم تكن رؤياهم إلا كرؤيا من سواهم ، وقد خصهم الله من فضله بما شاء أن يخصهم به. انتهى.

ثم أتبع ابن عبد البر فقال: ومن هذا كان رسول الله ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يصلي ولا يتوضأ ، لأن الوضوء من النوم إنما يجب لغلبة النوم على القلب لا على العين.

فكان رسول الله ﷺ يساوي أمته في الوضوء من الحدث ولا يساويهم في الوضوء من النوم. انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله.[4]

- ومن خصائصه الذاتية أن الله خيره بين الموت والحياة عند موته ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء ، والدليل على هذه الخصيصة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما مِن نبي يَمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة.[5]

والمقصود بالمرض أي مرض الموت.

وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّر بين الدنيا والآخرة ، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بُحَّةٌ ، يقول: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ الآية، فظننت أنه خُيِّر.[6]

---

[1] رواه «مسلم» (٢٣٤٥).

[2] انظر صحيح البخاري (١١٤٧) ومسلم (٧٣٨).

[3] انظر صحيح البخاري (٣٥٧٠).

[4] انظر «الاستذكار» (١٠١/٢) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[5] رواه البخاري (٤٥٨٦).

[6] رواه البخاري (٤٤٣٥).

- ومن خصائصه الذاتية ما جعل الله فيما انفصل من جسده من البركة ، وقد تقدم قريبا ذكر هذا ، فقد جعل الله البركة في عرقه ونخامته وشعره ، وكذا فيما اتصل بجسده ولامسه كماء الوضوء ، وقد كان الصحابة يبتدرون إلى ما انفصل من جسم النبي ﷺ ويباشرون به أجسامهم رجاء البركة ، وهذا خاص بالنبي ﷺ ، لم يفعله الصحابة مع غير النبي ﷺ في حياته ولا بعد مماته.
- **وأما خصائص النبي ﷺ الشرعية فمتعددة أيضا[1] ، منها:**
- أنه لا يُـورَث ، ما تركه صدقة ، وهذه خَصِيصةٌ للأنبياء جميعا[2] ، ودليل هذا قوله ﷺ : لا يقتسِم ورثتي دينارا ، ما تركتُ بعدَ نفقةَ نسائي ومؤونةَ عاملي فهو صدقة.[3]

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: وهذا من حكمة الله عز وجل ، لئلا يُقال إن هؤلاء الأنبياء جاءوا بالرسالة لأنهم يطلبون مُلكا يورث من بعدهم ، فمنع الله عز وجل ذلك ، فالأنبياء لا يورّثون ، بل ما يتركونه يكون صدقة يُصرف للمستحقين له.[4]

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية أن الصدقة محرمة عليه وعلى آل بيته ، لأنها أوساخ الناس ، كما قال النبي ﷺ : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس.[5]

قلت: ولما كانت الصدقة أوساخ الناس ؛ كان إخراجها طُهرة للمال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : (كخ كخ) ، ليطرحها ، ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة.[6]

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية جواز الوِصال[7] في الصوم ، والدليل على هذا حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لا تُواصلوا.

قالوا: إنك تُواصل؟

قال: لستُ كأحدٍ منكم ، إني أُطعم وأُسقى – أو: – أِني أبيت أُطعم وأُسقى.[1]

---

[1] راجع للتوسع الأبيات التي تتكلم عن خصائصه في «ألفية السيرة النبوية» للعراقي.

[2] دليل ذلك قوله ﷺ : لا نُورث ، ما تركناه صدقة. رواه البخاري (٣٠٩٢) ومسلم (١٧٥٧) عن عائشة رضي الله عنها.
وقوله: (لا نُورث) يعني بذلك معاشر الأنبياء بما فيهم نفسه ﷺ .

[3] رواه البخاري (٢٧٧٦) ومسلم (١٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] بتصرف يسير من «شرح رياض الصالحين» ، (٢٠٥/١) ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[5] رواه مسلم (١٠٧٢) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه.

[6] رواه البخاري (١٤٩١) ومسلم (١٠٦٩).

[7] الوِصال هو أن يَصِل صِيام اليوم باليوم الذي بعده بدون فطر ، فربما صام يومين أو ثلاثة.

- وهناك أيضا أحكام شرعية خاصة به ﷺ متعلقة بالنكاح ، كما جاء ذلك في آيات من سورة الأحزاب من آية ٥٠ إلى آية ٥٣ ، ومن ذلك أن الله أباح له الزواج من أكثر من أربع نسوة.[٢]

ومنها اختصاصه بصحة نكاح من وهبت نفسها للنبي ﷺ بدون صداق وبدون إذن ولي ولا شاهدين ، قال تعالى ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾.

وقد استفاد أهل العلم من قصة نكاح النبي ﷺ من صفية سقوط شرط الولي والشاهدين في حقه ﷺ ، لأنه نكحها بدون هٰذين الشرطين.[٣]

وأيضا لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ومن أحكام النكاح المختصة به ﷺ أنه لا يجب عليه أن يقسم بين نسائه بالسَّوية في الليالي ، ومع هذا فقد كان النبي ﷺ يقسم بينهن تطييبا لخواطرهن ، قال تعالى ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: أي إذا علمن أن الله قد وضع عنكَ الحرج في القسْم ، فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم ، ثم مع هذا تقسم لهن اختيارا منك ، فرِحن بذلك واستبشرن به ، وحملن جميلك في ذلك ، واعترفن بمنتك عليهن في قسمتك لهن وتسويتك بينهن وإنصافُك لهن وعدلُك فيهن.[٤]

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية – وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء – دفنه في المكان الذي قُبِض فيه ، ودليل ذلك قوله ﷺ : ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يُحب أن يدفن فيه.[٥]

---

[١] رواه البخاري (١٩٦١).

[٢] من حِكم مشروعية الإكثار من النساء للنبي ﷺ هو بث العلم عن طريقهن للأمة ، حيث أن النساء يرين في بيوتهن ما لا يراه الرجال في الخارج ، ويسمعن ما لم يسمعه الرجال ، بحكم الالتصاق به ﷺ في بيته ، وكم حفظت دواوين السنة من أخلاق النبي ﷺ وفتاواه التي حفظها نساؤه رضي الله عنهن وأرضاهن.

[٣] انظر القصة في صحيح البخاري (٣٧١).

[٤] «تفسير القرآن العظيم» ، باختصار.

[٥] رواه الترمذي (١٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها ، وصححه الألباني رحمه الله. ورواه غيره عن سلم بن عبيد الأشجعي موقوفا ، انظر تخريج شعيب الأرناؤوط للحديث في تحقيقه على الترمذي (١٠٣٩) ، ط الرسالة العالمية.

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية أن الله أعانه على قرينه من الجن فأسلمَ ، فصار لا يأمره إلا بخير ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خـــــــرج من عندها ليلا ، قالت: فغِرتُ عليه[1] ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال: مالكِ يا عائشة ، أغِرتِ؟

فقلت: وما لي لا يَغارُ مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ : أقد جاءكِ شيطانُكِ؟

قالت: يا رسول الله ، أو معي شيطان؟

قال: نعم .

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم .

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم .[2]

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن.

قالوا: وإياك يا رسول الله؟

قال: وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ ، فلا يأمرني إلا بخير.[3]

- ومن خصائص النبي ﷺ الشرعية أنه يرى من خلفه في الصلاة وهو يؤمهم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أتموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم مِن بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم.[4]
- ومن خصائصه الشرعية اختصاصه بفرض قيام الليل عليه ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[5] ، وقال أيضا في مطلع سورة المُزَّمِّل ﴿يا أيها المُزَّمِّل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زِد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾.[6]

---

[1] أي غارت أن يكون ذهب إلى بعض نسائه.

[2] رواه مسلم (٢٨١٥).

[3] رواه مسلم (٢٨١٤).

[4] رواه البخاري (٧٤٢) ومسلم (٤٢٥) عن أنس رضي الله عنه.

[5] سورة الإسراء ، الآية ٧٩ .

[6] القول بوجوب قيام الليل على النبي ﷺ هو اختيار ابن جرير وجزم به ابن كثير ، انظر كلامهما في تفسير الآية الأولى ، وهو اختيار القرطبي ، انظر انظر كلامه في تفسير الآية الثانية ، رحمهم الله.

- ومن خصائصه الشرعية أن ثواب صلاته في التطوع قاعدا كثوابها قائما ، كما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه للنبي ﷺ : حُدِّثتُ يا رسول الله أنك قلت: صلاة الرجل قاعدا على نصف الصلاة[1] ، وأنت تصلي قاعدا.
قال ﷺ : أجل ولكني لست كأحدٍ منكم.[2]
- ومن خصائصه الشرعية أن الله يبلغه سلام من سلَّم عليه من أمته بعد وفاته ، يدل لذلك قول النبي ﷺ : إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام.[3]
- ومن خصائصه الشرعية جواز أن يفتي وهو في حالة الغضب لأنه مأمون عليه من الخطأ في الفُتيا لأن الفتيا وحي من الله ، بخلاف غيره من الناس ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكتُ عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فِيهِ ، فقال: اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق.[4]
- ومن خصائص النبي ﷺ الشرعية تخصيصه بنصيب من الغنيمة ، قال الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ **لِلَّهِ خُمُسَهُ** وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، ومعنى الآية: واعلموا أيها المؤمنون أن ما ظَفِرتم به مِن عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة ، والخمس الباقي يجزَّأُ خمسة أقسام: الأول لله **وللرسول** ، فيُجعل في مصالح المسلمين العامة ، والثاني لذوي قرابة رسول الله ﷺ ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب ، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم ، والثالث لليتامى ، والرابع للمساكين ، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة.
- ومن خصائص النبي ﷺ الشرعية تحريم نكاح زوجاته من بعده أبدا ، قال تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾[5].

---

[1] يعني على نصف الصلاة في الأجر لمن صلى قائما.

[2] رواه مسلم (٧٣٥) عن أنس رضي الله عنه ، وقال النووي رحمه الله في شرح الحديث: وأما قوله ﷺ (لست كأحد منكم) فهو عند أصحابنا من خصائص النبي ﷺ ، فجُعِلت نافلته قاعدا مع القدرة على القيام كنافلته قائما تشريفا له.

٣ رواه النسائي (١٢٨١) ، وأحمد (٤٥٢/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح النسائي» (١٢١٥).

[4] رواه أحمد في «مسنده» (١٦٢/٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح.

[5] سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية مبينا علة هذا التحريم: لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين.

قلت: ومما قيل في تعليل ذلك: أنهن أمهات المؤمنين ، وأن في ذلك غضاضة يُنَزَّهُ عنها منصبه الشريف ﷺ .

٥١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول من يُفيق.[١]

٥٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه صاحب الشفاعة العظمى لبدء الحساب يوم القيامة ، وهو أمر خصَّه الله تعالى به وشرفه به ، إذ جعله الله شفيع الخلائق لبدء حسابهم كلهم ، مؤمنهم وكافرهم ، حيث أن الناس يطول بهم الموقف يوم القيامة ، فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله لبدء الحساب ، ليرى كلٌّ سبيله ، إما إلى الجنة أو إلى النار ، فيعتذر عنها آدم عليه السلام ، ثم يذهبون إلى أولي العزم من الأنبياء ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فيعتذروا عنها ، ثم يذهبون إلى خاتمهم محمد ﷺ فيقول: (أنا لها) ، فيسجد تحت العرش ما شاء الله أن يسجد ، ويفتح الله عليه من المحامد وحسن الثناء على الله ما لم يفتحه على أحد قبله ، ثم يقال له: (يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع) ، فيشفع لأهل الموقف عند الله في بدء الحساب ، فيقبل الله شفاعته ، فيبدأ الحساب وفصل القضاء.

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[٢] ، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخِرون يوم القيامة ، ويغبِطونه به ، إذ تكون له المنة على جميع الخلق ، وقد حث النبي ﷺ أمته على الدعاء له بأن يبعثه الله هذا المقام المحمود ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته) ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة.[٣]

---

[١] انظر صحيح البخاري (٢٤١١ ، ٢٤١٢) ، ومسلم (٢٣٧٣).

[٢] سورة الإسراء: ٧٩ .

[٣] رواه البخاري (٦١٤).

ولعظم شأن هذه الشفاعة ؛ سماها أهل العلم بالشفاعة العظمى.[1]

ومما يدل أيضا على اختصاصه ﷺ بهذه الشفاعة حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ؛ نُصِرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيُّما رجل أدركته الصلاة فليُصل ، وأُحِلت لي الغنائم ولم تُحَل لأحد قبلي ، **وأُعطيت الشفاعة** ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.[2]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: **وقد اتفق المسلمون** على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله ، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، **ولا شفاعة أعظم من شفاعته**.[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، **وأول شافع ، وأول مُشَفّع**[4].[5]

٥٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن له يوم القيامة ثلاث شفاعات خاصة غير العظمى ، وهما كالتالي ؛ **الأولى**: شفاعته لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن استحقوا دخول النار ألاّ يدخلوها ، وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة.[6]

وفي رواية لمسلم: لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعَجَّل كلُّ نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، **فهي نائلة ، إن شاء الله** ، من مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا.[7]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.[8]

الثانية شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة ، فإن المؤمنين إذا أتوا الجنة وجدوا أبوابها مغلقة ، فعندئذ يطرق النبي ﷺ باب الجنة ، فيقول خازن الجنة[1]: من أنت؟

---

[1] انظر حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٤٧١٢ ، ٧٤١٠ ، ٧٤٣٩ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥١٠) ، وصحيح مسلم (١٩٣ ، ١٩٥).

[2] رواه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) ، وفي الباب عن أبي هريرة ، رواه مسلم (٥٢٣).

[3] «مجموع الفتاوى» (١/١٤٥).

[4] مُشَفّع أي مقبولة شفاعته.

[5] رواه مسلم (٢٢٧٨).

[6] رواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

[7] رقم (١٩٩).

[8] رواه الترمذي (٢٤٣٥) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، وأحمد (٣/٢١٣) وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٥٩٨ – ٥٥٩٩) عن أنس رضي الله عنه. عنه.

فيقول: محمد.

فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك.[٢]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **أنا أول الناس يشفع في الجنة** ، وأنا أكثر الأنبياء تبعا.[٣]

وعنه أن النبي ﷺ قال: ... ، فآخذ بحلْقة باب الجنة فأُقَعْقِعُها[٤] ، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد ، فيفتحون لي ويرحبون ، فيقولون: مرحبا.[٥]

وفي هذا إظهار لشرفه وفضله ، لما كان صاحب الشفاعة العظمى ليريح الناس من كربات المحشر ، والشفاعة الثانية لنيل الفرح والسرور بدخول الجنة.

وثالثها شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب ، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك؟ فوالله كان يَحوطُك[٦] ويغضب لك.

قال: هو في ضحضاحٍ[٧] من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.[٨]

بل قد جاء النص صريحا في أن أبا طالب هو أهون أهل النار عذابا ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه.[٩]

---

[١] الخازن هو الحافظ للشيء ، وقد اشتهر عند الناس تسميته بـ «رضوان» ، وهذا لا دليل صحيح عليه ، والصواب تسميته بخازن الجنة كما جاء في الحديث ، أفادني بها الشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي حفظه الله.

[٢] رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[٣] رواه مسلم (١٩٦) واللفظ له ، وأحمد (١٤٠/٣) ، والدارمي في المقدمة ، باب ما أعطي النبي من الفضل.

[٤] أي أُحرِّكها – أي الحلقة – لتصدر صوتا ، فيسمعه من في الداخل. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[٥] رواه الترمذي (٣١٤٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٦] يحوطك أي يصونك ويذب عنك.

[٧] الضحضاح في الأصل ما رق من الماء على وجه الأرض مما لم يبلغ الكعبين ، واستُعير هنا للنار. انظر «النهاية».

[٨] رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) وأحمد (٢٠٦/١).

فإن قيل: كيف الجمع بين شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب وقد مات كافرا ، وقوله تعالى عن الكفار ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾؟

فالجواب أن شفاعته له ليست في إخراجه من النار كما هو الحال لعصاة المؤمنين ، وإنما لمجرد تخفيف العذاب فحسب ، وإلا فهو معذب عذابا سرمديا في ضحضاح من نار ، والنبي ﷺ شفع له لأنه كان يحوطه ويدافع عنه ، وفي هذا إظهار لفضل النبي ﷺ وإكرامه.

وانظر ما قاله الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٥).

[٩] رواه مسلم (٢١٢).

وهذا النفع في تخفيف العذاب عنه حتى صار من أهون الناس عذابا في النار يعتبر دليلا على عِظم قدر الشفيع وهو النبي ﷺ ، فلولا شفاعته لكان حاله كحال غيره من الكفار ، فليس أحد من الكفار في منزلة أهون من النار إلا أبا طالب بنص الحديث.

فالحاصل أن هذه الشفاعات الأربع (العظمى والثلاث المتقدمة) هي الشفاعات التي ستحصل للنبي ﷺ يوم القيامة ، كلها خاصة به ﷺ ، وهناك شفاعة خامسة ، ولكنها مشتركة بينه وبين المؤمنين والملائكة ، وهي الشفاعة للمؤمنين الذي استحقوا دخول النار في الخروج منها.[1]

٥٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله جعل لواء الحمد بيده ﷺ يوم القيامة ، الذي ينضوي تحته جميع الأنبياء ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، **وبيدي لواء الحمد** ولا فخر ، وما من نبي يومئذ – آدم فمن سواه – إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.[2]

فهذه الخصيصة وما قبله من الخصائص تدل على علو مرتبته ﷺ وعلو منزلته في الآخرة.

٥٥. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أن له حوضا خاصا به يوم القيامة في أرض المحشر ، وهو غير نهر الكوثر الذي بالجنة ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء ، فإن لكل نبي حوضا كما قال ﷺ : إن لكل نبي حوضا ، وإنهم يتباهون أيُّهم أكثر واردةً[3] ، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة.[4]

وحوض النبي ﷺ يَصُبُّ فيه مِيزابان[5] من نَهَر الكوثر الذي بالجنة ، وطول الحوض مسيرة شهر ، فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، ورائحته أطيب من المسك ، ومذاقه أحلى من العسل ، من يشرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبدا ، يصب فيه ميزابان من الجنة ، أحدهما من ذهب ، والآخر من فضة ، عرضه مثل طوله ، كما بين صنعاء والمدينة.[6]

---

[1] الحديث في صحيح البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[2] رواه الترمذي (٣١٤٨ ، ٣٦١٥) وابن ماجه (٤٣٠٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[3] الواردة هم القوم الذين يرِدون الماء ، مفردها: وارد.

[4] رواه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (١٥٨٩).

[5] الميزاب ويسمى أيضا بالمِرزاب ، وهو المجرى الذي يُعد ليسيل منه الماء من موضع عال ، كسطح البيت وميزاب الكعبة. انظر «تاج العروس».

[6] انظر الأخبار الواردة في الحوض في «صحيح البخاري» ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، وكذلك «صحيح مسلم» ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

قلت: وما أشد حاجة الناس للشرب منه في ذلك اليوم الشديد الحر ، الذي يقف فيه الناس طويلا ، فمن أراد أن يشرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة فليُكثر الشرب من شريعته في الدنيا.

٥٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أكثر الأنبياء تبعاً ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً.[١]

وفي رواية: أنا أول شفيع في الجنة ، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت ، وإنَّ من الأنبياء نبيا ما يُصدِّقه من أمته إلا رجل واحد.[٢]

قال النووي رحمه الله في شرح حديث (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[٣]:

وَقَوْله ﷺ : (فَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرُهمْ تَابِعًا) عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذَا فِي زَمَن قِلَّة الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ مَنَّ اللَّه تَعَالَى وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلاد وَبَارَكَ فِيهِمْ ، حَتَّى انتهى الأمْر وَاتَّسَعَ الْإِسْلام فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَة الْمَعْرُوفَة ، وَلِلَّهِ الْحَمْد عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة وَسَائِر نِعَمه الَّتِي لا تُحْصَى ، وَاَللَّه أَعْلَم. انتهى.[٤]

قال مقيده عفا الله عنه: وهذا أمر مشاهد ، فإن أتباع النبي ﷺ في ازدياد ، فلا يمر يوم إلا ودخل داخل في دين الإسلام ، والحمد لله على نعمة الهداية.

٥٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أعظم الناس أجرا يوم القيامة ، لأن أتباعه في ازدياد ، ولأن له أجر عملهم إلى يوم القيامة ، وفي الحديث: من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن يُنقِص من أجورهم شيء.[٥]

٥٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في حال حياته ، قال الله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما * وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.

---

[١] رواه مسلم (١٩٦).

[٢] رواه مسلم (١٩٦).

[٣] رواه مسلم (١٥٢).

[٤] وانظر ما قاله العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله (المتوفى عام ١٣٦٧ هـ) في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» ، ص ٤٦٢ ، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

[٥] رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومنها[1] أن الله تعالى أخبره بأنه غَفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم يُنقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك ، بل الظاهر أنه لم يُخبرهم ، لأن كل واحد منهم إذا طُلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: (نفسي نفسي) ، ولو عَلم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يَوْجل منها في ذلك المقام ، وإذا استشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك المقام قال: أنا لها.[2]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره.

٥٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله يبعثه يوم القيامة وأمته على تل ، ويكسوه الله حُـلَّـةً خضراء ، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذاك المقام المحمود.[3]

٦٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من يجوز[4] على الصراط ، وهذه الأمور مما خُصّ بها النبي ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل: فيُضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته.[5]

٦١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من يدخل الجنة ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : آتـي باب الجنة يوم القيامة فأَستفتِح[6] ، فيقول الخازن: من أنت؟

فأقول: محمد.

فيقول: بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك.[7]

---

[1] أي ومن فضائله.

[2] «بداية السول في تفضيل الرسول» ، ص ٣٥ ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

[3] رواه أحمد (٤٥٦/٣) ، وقال محققو «المسند» (٦٠/٢٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

[4] أي يجتازه ويعبره.

[5] رواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[6] أي أَطلب أن يُفتح لي.

[7] رواه مسلم (١٩٧).

٦٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من يقرع باب الجنة ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة.[١]

٦٣. ومن دلائل عظم قدر النبي محمد ﷺ اختصاصه بنهـَر[٢] الكوثر الذي بالجنة ، ومعنى الكوثر: الخير الكثير ، وهو خاص به ، ولم يرد أن الله خص غيره من الأنبياء بأنهار بالجنة ، قال تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾. قال ابن حجر رحمه الله:

"فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يَصُب من مائه في حوضه ، فإنه لم يُنقل نظيره لغيره[٣] ، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة."[٤]

٦٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ توقير بعض الحيوانات له ، ومن ذلك قصة الجمل الذي كان عند بعض الأنصار ، فاستصعب عليهم فمنَعهم ظهرهُ[٥] ، فلما جاء النبي ﷺ نظر الجمل إليه ، فأقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العَمَل.[٦]

ومن ذلك أيضا أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمسُ بَـدَنات[٧] أو ستٌّ ينحرهن ، فأخذن يتقربن إليه ، كل واحدة ترجو أن يبدأ بها.[٨]

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطا[٩] لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضِح[١٠] له ، فلما رأى النَّبيَّ ﷺ حنَّ وذرَفت عيناه[١] ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[٢] وسَراتَهُ[٣] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[٤]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا.

---

[١] رواه مسلم (١٩٦) واللفظ له ، وأحمد (١٤٠/٣) ، والدارمي في المقدمة ، باب ما أعطي النبي من الفضل.

[٢] قال النووي رحمه الله في شرح حديث مسلم (١٨٣): أما النهر ففيه لغتان معروفتان ، فتح الهاء وإسكانها ، والفتح أجود ، وبه جاء القرآن العزيز.

[٣] أي لغير النبي ﷺ من الأنبياء.

[٤] قاله في «فتح الباري » ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، وقول الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾.

[٥] أي منعهم الركوب على ظهره.

[٦] رواه أحمد (١٥٨/٣) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وفي الباب عن عبد الله بن جعفر ، رواه أحمد (٢٠٤/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٧] بدَنات جمع بَـدَنة ، وهي الناقة التي بلغت خمس سنين.

[٨] رواه أحمد (٣٥٠/٤) ، وأبو داود (١٧٦٥) ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كما في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١١٨ ، وصححه محققو «المسند» والألباني رحمه الله.

[٩] الحائط هو البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. انظر «النهاية».

[١٠] النضح هو رش الماء ، والناضح هو الجمل الذي يُستقى عليه الماء. انظر «النهاية».

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِبُهُ[٥].[٦]

ومن ذلك أيضا قصة الحُمَّرةِ – وهي طائر صغير كالعصفور – التي جاءت تشتكي إلى النبي ﷺ لما أخذ بعض الصحابة فرخيها ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرةً معها فَرْخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرةُ[٧] فجعلت تَفْرُش[٨] ، فجاء النَّبي ﷺ فقال: من فَجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها.

ورأى قرية نمل قد حرقناها ، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن ، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار.[٩]

٦٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ تسليم بعض الجمادات عليه ، وتعظيمها ومحبتها له ، وانقيادها لأمره ، وتوقيرها له ، مع كونها مخلوقات جامدة ، لا تدب فيها الحياة ، كالحجر الذي بمكة ، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[١٠]

ولما صعد النبي ﷺ جبل «أُحُد» ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، رجف بهم ، فضربه برجله وقال: أُثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[١١]

---

[١] أي ذرفت دمعا.

[٢] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[٣] سراته أي سنامه. انظر «النهاية».

[٤] ربُّ الجمل أي صاحبه.

[٥] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

[٦] رواه أحمد (١/٢٠٥) ، وصححه محققو «المسند» (١٧٥٤).

[٧] أي جاءت إلى النبي ﷺ وهذا هو الشاهد ، أنها جاءت إليه تشتكي.

[٨] أي تفرش جناحيها وتقرُب من الأرض وترفرف. انظر «النهاية».

[٩] رواه أبو داود (٢٦٧٥) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[١٠] رواه مسلم برقم (٢٢٧٧).

[١١] رواه البخاري برقم (٣٦٧٥ ، ٣٤٧٢).

كما جاء الخبر بمحبة جبل «أُحُد» للنبي ﷺ ، فعن عباس عن أبيه رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «أحد» جبل يحبنا ونُحبه.[١]

ومن ذلك قصة حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه ، فقد كان النبي ﷺ يخطُب يوما إلى جذع نخلة في المسجد ، فصنعوا له منبرا ، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ ، فبكى الجذعُ حتى سمعوا له صوتا مثل صوت العِشار[٢] ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمَّهُ فسكت.[٣]

٦٦. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ انقياد بعض الأشجار له ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتى النبي ﷺ رجل من بني عامر فقال: يا رسول الله ، أَرِني الخاتم الذي بين كتِفيك ، فإني من أطَبِّ الناس[٤].

فقال له رسول الله ﷺ : ألا أُريك آية؟

قال: بلى.

قال: فنظر إلى نخلة فقال: أُدعُ ذلك العَذْق[٥].

قال: فدعاه ، فجاء ينقُز حتى قام بين يديه.

فقال له رسول الله ﷺ : اِرجع. فرجع إلى مكانه ، فقال العامري: يا آل بني عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسْحر.[٦]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أين تريد؟

قال: إلى أهلي.

قال: هل لك إلى خير؟

قال: ما هو؟

قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

قال: هل من شاهد على ما تقول؟

---

[١] رواه البخاري (١٤٨٢) ، وفي الباب عن أنس ، رواه مسلم (١٣٦٥) ، وعن أبي حميد ، رواه مسلم (١٣٩٢).

[٢] العِشار جمع عُشراء ، وهي الناقة التي فصل راعيها ولدها عنها بعد مضي عشرة أشهر.

[٣] انظر صحيح البخاري (٩١٨ ، ٢٠٩٥).

[٤] أي مِن أعرفِهم بالطب ، يظن أن النبي ﷺ محتاج إلى علاج!

[٥] العَذْق هو النخلة. انظر «النهاية».

[٦] رواه أحمد (٢٣٣/١) وغيره ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣١٥) ومحققو «المسند» برقم (١٩٥٤).

قال: هذه السَّمُرة[1].

فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تَخُدُّ[2] الأرض خدًّا ، حتى كانت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال[3] ، ثم رجعت إلى منبَتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني آتيك بهم ، وإلا رجعتُ إليكَ فكنت معك.[4]

ومن ذلك أيضا أنه دعا شجرتين ليستتر بهما ليقضي حاجته فانقادت الشجرتان له فلما قضى حاجته رجعتا ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ[5] ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[6] مِنْ مَاءٍ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[7] الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا ، يَعْنِي جَمَعَهُمَا ، فَقَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّه ، فالتأمتا.[8]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزينٌ قد خُضِبَ[9] بالدماء ، قد ضربه بعض أهل مكة ، فقال: مالَكَ؟

فقال: فعل بي هؤلاء وفعلوا.

فقال له جبريل عليه السلام: أَتُحِبُّ أن أُريك آية؟

قال: نعم ، أرِني.

---

[1] السَّمُرة نوع من أنواع الشجر.

[2] تـخُدُّ أي تشق ، ومن الأخدود وهو الشق في الأرض.

[3] أي شهِدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

[4] رواه ابن حبان (٦٥٠٥) وغيره ، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٤٧١).

[5] أفيح أي واسع. انظر «النهاية».

[6] الإداوة إناء صغير يحمل فيه الماء. انظر «المعجم الوسيط».

[7] البعير المخشوش أي الذي وضع في أنفه الخِشاش ، وهو عودٌ يُجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده. انظر «النهاية».

[8] رواه مسلم (٣٠١٢).

[9] خُضِبَ بالدماء أي ابتل بها. انظر «النهاية».

فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: أُدعُ تلك الشجرة. فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال: قل لها فلترجع ، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها.

فقال رسول الله ﷺ : حسبي.[1]

وعن معن بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبي قال: سألتُ مسروقاً: من آذنَ[2] النبي ﷺ بالجنِّ ليلة استمعوا القرآن؟

فقال: حدثني أبوك – يعني ابن مسعود – أنه آذنت بهم شجرةٌ.[3]

٦٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ تعظيم مدينته ، وهي «المدينة» ، وتسمى «المدينة النبوية» ، والدليل على هذا التعظيم قوله عليه الصلاة والسلام: المدينة حَرَم من «عَير» إلى «ثَور».[4]

«عَيـر» و «ثَـور» جبلان بالمدينة ، يقعان في شمالها وجنوبها.

ومعنى كونها حَرَم أي يَحرُم فيها أمور ، قطع أشجارها ، وتنفير صيدها كالحمام ونحوه ، وقطع حشيشها ، والتقاط لُقطتِها وهو المال الساقط على الأرض لا يُعرف لِمن هو ، وارتكاب حَدَثٍ أي جنايةٍ ، بل مجرد حمل السلاح لارتكاب عدوان وجناية يعتبر حراما ، كل ذلك تعظيما للمدينة أن كانت هي بلد النبي ﷺ ، ولحفظ الطمأنينة فيها.

والدليل على تحريم فعل هذه الأمور حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : المدينة حَرَم من كذا إلى كذا[5] ، لا يُقطع شجرها ، ولا يُحدث فيها حدثٌ ، من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.[6]

وفي لفظ لمسلم: لا يُختلى خلاها.[7] أي لا يُقطع حشيشها.

وفي لفظ لأحمد: لا يُختلى خلاها ، ولا يُنفَّرُ صيدها ، ولا تُلتقط لقطتها إلا لِمن أشار بها ، ولا تُقطع منها شجرة إلا أن يَعلِف رجل بعيره ، ولا يُحمل فيها السلاح لقتال.[1]

---

[1] رواه أحمد (١١٣/٣) ، وقوى إسناده محققو «المسند» (١٢١١٢).

[2] آذنَ أي أخبر.

[3] رواه البخاري (٣٨٥٩).

[4] رواه البخاري (٦٧٠٥) ومسلم (١٣٧٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[5] أي من جبل عِير إلى جبل ثور.

[6] رواه البخاري (١٨٦٧) ومسلم (١٣٦٦) ، واللفظ للبخاري.

[7] رقم (١٣٦٧).

- ويدخل في تعظيم المدينة تعظيم أماكن خاصة فيها ، أولها المسجد النبوي الذي بناه النبي ﷺ ، وقد جاء في فضله أن الصلاة فيه مضاعفة الثواب ، فعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.[٢]
- ويدخل في تعظيم المسجد النبوي تعظيم الروضة الشريفة التي بين بيته ومنبره الذي يخطب منه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي.[٣]
- وقد جاء التغليظ فيمن حلف عند منبره ﷺ كاذبا في قوله عليه الصلاة والسلام: لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ، ولو على سواك أخضر ، إلا تبوَّأ مقعده من النار ، أو: وجبت له النار.[٤]

وعلة التغليظ هي أن منبر النبي ﷺ هو منبر حقٍّ ، انتشر منه الحق والهدى إلى الأمة كلها ، فإذا استخدمه إنسان في غرض فاسد استحق هذه العقوبة الغليظة.

وهذا التغليظ داخل في التغليظ العام لمن ارتكب حدثا في حرم المدينة والذي ورد في قوله ﷺ : المدينة حَرَم من كذا إلى كذا ، لا يُقطع شجرها ، ولا يُحدَث فيها حدثٌ ، من أحدَث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.[٥]

ومنبر النبي ﷺ على تُرعة من تُرع الجنة ، فعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: منبري على تُرعة[٦] من تُرع الجنة.

قلت له: ما الترعة يا أبا العباس؟ قال: الباب.[٧]

- ويدخل في تعظيم المدينة تعظيم مسجد قباء ، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قُباء كل سبت راكبا أو ماشيا ويصلي فيه ركعتين.[٨]

---

[١] (١١٩/١) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[٢] رواه ابن ماجه (١٤٠٦) واللفظ له ، وأحمد (٣٤٣/٣) وصححه الألباني ومحققو «المسند».

[٣] رواه البخاري (١٨٨٨) ومسلم (١٣٩١).

[٤] رواه أبو داود (٣٢٤٦) عن جابر رضي الله عنه ، ورواه ابن ماجه (٢٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٥] استفدت هذه الفائدة في علة التغليظ فيمن حلف عند المنبر النبوي كاذبا من الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله ونفع بعلومه.

[٦] الترعة هي الروضة على المكان المرتفع. انظر «النهاية».

[٧] رواه أحمد (٣٣٥/٥) ، والطبراني في «الكبير» (١٤٢/٦) ، والبيهقي (٢٤٧/٥) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[٨] رواه البخاري (١١٩٣) ومسلم (١٣٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن أُسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الصلاة في مسجد قباء كعمرة.[1]

- وقد اختص الله المدينة النبوية بخصائص كثيرة منها أنه لا يدخلها الدجال في آخر الزمان ، ولا يدخلها الطاعون ، ومنها أنها الإيمان يأرِز إليها – أي يأوي إليها ويرجع – كما تأرِز الحية إلى جحرها ، واستحباب العيش فيها إلى الممات ، وبركة أرزاقها ، وجعْل تمرها شفاء ووقاية من السحر ، ومنع دخول الكفار إليها ، وغير ذلك من الخصائص العظيمة.[2]

- ومن دلائل عِظمِ قدره ﷺ أن ما بين بيته ومِنبره روضة من رياض الجنة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي.[3]

قال ابن حجر رحمه الله:

قَوْله: (رَوْضَة مِنْ رِيَاض الْجَنَّة) أَيْ كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاض الْجَنَّة فِي نُزُول الرَّحْمَة وَحُصُول السَّعَادَة بِمَا يَحْصُل مِنْ مُلَازَمَة حِلَق الذِّكْر لَا سِيَّمَا فِي عَهْده ﷺ ، فَيَكُون تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاة ، أَوْ الْمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَة فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّة فَيَكُون مَجَازًا ، أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِره وَأَنَّ الْمُرَاد أَنَّهُ رَوْضَة حَقِيقَة بِأَنْ يَنْتَقِل ذَلِكَ الْمَوْضِع بِعَيْنِهِ فِي الْآخِرَة إِلَى الْجَنَّة ، هَذَا مُحَصَّل مَا أَوَّلَه الْعُلَمَاء فِي هَذَا الْحَدِيث ، وَهِيَ عَلَى تَرْتِيبهَا هَذَا فِي الْقُوَّة.

وَأَمَّا قَوْله (وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي) أَيْ يُنْقَل يَوْم الْقِيَامَة فَيُنْصَب عَلَى الْحَوْض ، وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث أَبِي سَعِيد ، وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِير» مِنْ حَدِيث أَبِي وَاقِد اللَّيْثِيّ رَفَعَهُ: (إِنَّ قَوَائِم مِنْبَرِي رَوَاتِب[4] فِي الْجَنَّة)[5].

---

[1] رواه الترمذي (٣٢٤) وابن ماجه (١٤١١) وصححه الألباني.

[2] انظر للتوسع كتاب: فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها ، للشيخ عبد المحسن العباد ، الناشر: دار التوحيد – الرياض.

وكتاب: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة ، جمعاً ودراسة ، تأليف: صالح بن حامد الرفاعي ، الناشر: دار الخضيري – المدينة.

[3] تقدم تخريجه قريبا.

[4] قال السندي في «شرح سنن النسائي» (٣٦/٢): الرواتب جمع راتبة مِن «رَتب» إذا انتصب قائما ، أي أن الأرض التي هو فيها من الجنة ، فصارت القوائم مقرها الجنة ، أو أنه (يعني المنبر) سينقل إلى الجنة. والله تعالى أعلم.

ورواه أحمد عن أم سلمة (٢٨٩/٦) ، والطبراني في الكبير (٢٥٤/٢٣) ، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير عمار الدهني فمن رجال مسلم.

[5] رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٣٢/٣) ، والنسائي (٦٩٥) ، والطبراني (٢٤٥/٣) ، وصححه الألباني.

ورواه أحمد عن أم سلمة (٢٨٩/٦) ، والطبراني في الكبير (٢٥٤/٢٣) ، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير عمار الدهني فمن رجال مسلم.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ قَصْد مِنْبَره وَالْحُضُور عِنْده لِمُلَازَمَةِ الْأَعْمَال الصَّالِحَة يُورِد صَاحِبه إِلَى الْحَوْض وَيَقْتَضِي شُرْبه مِنْهُ ، وَاللَّه أَعْلَم. انتهى باختصار.

٦٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الشيطان لا يتمثل به في المنام ، فمن رأى النبي ﷺ في المنام وكان الذي رآه كما جاء في صفته المذكورة في السنة ؛ فقد رأى شخصه ، فليس بأضغاث أحلام ، ولا تشبيهات الشيطان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي.[١]

قال القَاضِي عياض[٢] رحمه الله في شرح الحديث: قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء:

خَصَّ اللَّه تَعَالَى النَّبِيّ ﷺ بِأَنَّ رُؤْيَة النَّاس إِيَّاهُ صَحِيحَة ، وَكُلّهَا صِدْق ، وَمَنَعَ الشَّيْطَان أَنْ يَتَصَوَّرَ فِي خِلْقَته لِئَلَّا يَكْذِبَ عَلَى لِسَانه فِي النَّوْم ، وَلَوْ وَقَعَ لَاشْتَبَهَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ ، وَلَمْ يُوثَقْ بِمَا جَاءَ بِهِ مَخَافَةً من هذا التصور ، فَحَمَاها[٣] اللَّه تَعَالَى مِنْ الشَّيْطَان وَنَزْغِه وَوَسْوَسَته وَإِلْقَائِهِ وَكَيْده. انتهى باختصار.[٤]

٦٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ ؛ عصمته من الوقوع في الشرك ، وعصمته من الخطأ في مجال التبليغ ، وعصمة نسبه من السفاح ، وعصمته من الوقوع في كبائر الذنوب ، وعصمته من رذائل الأخلاق.

٧٠. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن من سبه أو سب نبيا من الأنبياء فإنه يكفر وعقوبته القتل ، بخلاف من دونهم من الناس ، وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها قصة الأعمى الذي كانت له أُمُّ ولدٍ[٥] ، وكانت تشتـم النبي ﷺ ، فلما كان ذات ليلة جعلت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فأخذ مِغولا[٦] فوضعه في

---

[١] رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٢٢٦٦).

[٢] هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي ، ولد سنة ٤٧٦ ، درس على ما يقارب من مائة شيخ ، واستبحر من العلوم ، وولي القضاء ، كان إماما في الحديث ، له كتاب «الإكمال في شرح صحيح مسلم» ، كمل به كتاب «المُعلَم» للمازَري ، وله كتاب «الإلماع في أصول الرواية والسماع» ، وله كتاب «جامع التاريخ» فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، وله كتاب «الشفا في شرف المصطفى» ، وله غيرها. توفي رحمه الله عام ٥٤٤ . انظر ترجمته في «السير» (٢١٢/٢٠).

[٣] أي رؤية النبي ﷺ في المنام.

[٤] نقله النووي عنه في شرحه للحديث المتقدم.

[٥] أُمُّ ولدٍ أي أمة ، وطأها سيدها فولدت له ولدا.

[٦] المِغول ، قال في «عون المعبود»: مِثْل سَيْف قَصِير يَشْتَمِل به الرَّجُل تَحْت ثِيَابه فَيُغَطِّيه ، وَقِيلَ حَدِيدَة دَقِيقَة لَهَا حَدّ مَاضٍ ، وَقِيلَ هُوَ سَوْط فِي جَوْفه سَيْف دَقِيق يَشُدّهُ الْفَاتِك عَلَى وَسَطه لِيَغْتَالَ به النَّاس.

بطنها فاتكأ عليه حتى ماتت ، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ دعا الأعمى فأخبره بأمرها ، فقال النبي ﷺ : ألا اشهدوا أن دمها هدر.[1]

وعن علي أن يهودية كانت تشتمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل رسول الله ﷺ دمها.[2]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق ، فقلت: أقتله؟

فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ .[3]

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» إجماع أهل العلم على قتل من وقع في سب النبي ﷺ ، سواء كان مسلما أو كافرا.

٧١. ومن دلائل عِظم قدر نبينا ﷺ ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء ؛ أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبي ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة رجـل قتله نبي أو قتل نبيا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين[4] .[5]

٧٢. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الكذب عليه موجب للدخول في النار ، كما جاء ذلك في الحديث المتواتر الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.[6]

٧٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الميت يُسأل عنه في قبره ، فإن الميت المؤمن إذا دُفِن في قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملكان فيسألانه: من ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

---

[1] رواه أبو داود (٤٣٦١) والنسائي (٤٠٨١) عن ابن عباس رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

[2] رواه أبو داود (٤٣٦٢) ، وقال في «الإرواء» (٩١/٥): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[3] رواه النسائي (٤٠٨٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[4] أي الذي يصنع التماثيل ، والعلة معروفة ، وهي أن صنع التماثيل يؤدي إلى عبادتها ، ولهذا تجد الذين يعبدون غير الله من النصارى والبوذيين والهنادكة ونحوهم ينصبون تماثيل أمامهم ويتقربون لها بأنواع العبادات من سجود ودعاء ونحو ذلك ، عياذا بالله.

[5] رواه أحمد (٤٠٧/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده حسن.

[6] رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٣).

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله ﷺ .

فيقولان له: وما عِلمُك؟

فيقول: قرأت كتاب الله ، فآمنت به وصدّقت.

فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي ، فأفرِشوه من الجنة[1] ، وألبِسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة.

قال: فيأتيه من رَوْحِها[2] وطيبها ، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسُرُّك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير.

فيقول: أنا عملك الصالح.

فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجِع إلى أهلي ومالي.

ثم قال في الكافر: ويأتيه ملكان فيُجلِسانه فيقولان له: من ربك؟

فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري.

فينادي منادٍ من السماء أن كذَبَ ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له باب إلى النار ، فيأتيه من حرِّها وسَمومها ، ويُضيَّق عليه قبرُه حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، مُنتِنُ الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول: من أنت ، فوجهُك الوجه يجيء بالشر؟

فيقول: أنا عملك الخبيث.

فيقول: ربِّ لا تُـقِم الساعة.[1]

---

[1] أي اجعلوا له فراشا من الجنة.

[2] قال الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح»: (مِن رَوحها) ؛ أي بعض رَوحها ، والروح بفتح الراء ؛ الراحة ونسيم الريح.

٧٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله عصمه من أذى الناس ، فلم يستطيعوا أن يحولوا بينه وبين تبليغ رسالة ربه بالرغم من كثرة ما أصابه من أنواع البلاء منهم ، وبالرغم من المحاولات المتكررة لقتله أو إتلافه في الحروب وغيرها ، فقد عصمه الله منهم فلم يستطيعوا قتله ولا منعه من تبليغ الرسالة ، فأدى الرسالة وأدى الأمانة كما أراد الله وقدَّره له ، وصدق الله ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته **والله يعصمك من الناس**﴾[٢].[٣]

نذكر هنا على سبيل المثال ما رواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر: لو تنحَّيت لا تؤذيك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إنه سيُحال بيني وبينها ، فأقبلَت حتى وقفَت على أبي بكر فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك.

فقال أبو بكر: لا ورب هذه البِنية[٤] ، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به.

فقالت[٥]: إنك لَمُصدَّق ، فلما ولَّت قال أبو بكر رحمة الله عليه: ما رأتك؟

قال: لا ، ما زال مَلَكٌ يسترني حتى ولَّت.[٦]

ولما خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة أرسل المشركون رجالا يراقبون بيته حتى إذا خرج قتلوه ، فأمر عليا فنام على فراشه ، ثم خرج ولم يروه وسلك طريقه المؤدي إلى المدينة حتى وصل إليها سالما.[٧]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصلِيَّةً[٨] ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٨٧) في حديث طويل ، وأبو داود (٤٧٥٣) ، وصحح إسناده محققو «المسند» وقالوا: رجاله رجال الصحيح ، وكذا صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٦٧٦) و «مشكاة المصابيح» (١٦٣٠).

[٢] سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

[٣] يراجع للفائدة ما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآية ، وكذلك ما ذكره ابن الجوزي في تفسيره الموسوم «زاد المسير في التفسير» ، وكذلك ما قاله الشيخ ابن باز رحمه الله فيها في «مجموع فتاواه» (٨/١٥٠).

[٤] لعله يقصد بالبنية بناء الكعبة.

[٥] في المطبوع (قال) ، وأظنه تصحيف ، لأن القائل امرأة.

[٦] رواه أبو بكر البزار في مسنده (١٥) ، وغيره ، وفي سنده عطاء بن السائب ، وهو ثقة اختلط.

[٧] انظر قصة الهجرة في كتب السيرة.

[٨] مصلية أي مشوية.

رسول الله ﷺ : (ارفعوا أيديكم) ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: أَسَمَمْتِ هذه الشاة؟

قالت اليهودية: من أخبرك؟

قال: أخبرتني هذه في يدي – للذراع.

قالت: نعم.

قال: فما أردتِ إلى ذلك؟

قالت: قلت إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن استرحنا منه.

فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتُوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة.[1]

والشاهد أن النبي ﷺ لم يمُت مباشرة من السُّم الذي حشته اليهودية في ذلك الذراع كما حصل لبعض أصحابه الذين أكلوا معه ، بل مدَّ الله في عمُره حتى بلَّغ رسالة ربه ، مع أن اليهودية أودعت في ذراع الشاة سُمًّا كثيرا ، لأنهم كانوا يعلمون أنه يحب الذراع ، فاحتجم على كاهِله[2] من أجل السم الذي أكله ولم يضرَّه كما أضر غيره من الصحابة ممن أكل معه ، وكان يجد ألم السم في ظهره في عرق الأَبهر ، فكان كلما وجد ألما احتجم[3] ، فلما مرت ثلاث سنوات وتم للنبي ﷺ تبليغ رسالة ربه وأنزل الله عليه في حجته في يوم عرفة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ، ثم أنزل الله عليه في أيام التشريق قوله تبارك وتعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ؛ فعند ذلك علِم النبي ﷺ بدنو أجله ، فلما كان وجعه الذي توفي منه قال لعائشة رضي الله عنها: يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجَدْتُ انقطاع أَبهري من ذلك السم.[4]

---

[1] رواه أبو داود (٤٥٠٩) ، وصححه الألباني ، ورواه أحمد (٣٠٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه محققو «المسند» ، وأصل القصة في البخاري (٥٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ، إذ لو كان يعلم الغيب لما أكل من الشاة وفيها سم ، فليت غلاة الصوفية يعقلون!

[2] الكاهل هو مقدم أعلى الظهر ، قاله ابن الأثير في «النهاية» ، وسيأتي في كلام ابن القيم أنه أقربُ المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب.

[3] انظر «المسند» حديث رقم (٢٧٨٤).

[4] رواه البخاري (٤٤٢٨) عن عائشة رضي الله عنها ، وأبو داود (٤٥١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر للفائدة كلام ابن القيم في «زاد المعاد» ، فصل في هديه ﷺ في علاج السم الذي أصابه بخيبر من اليهود ، (١٢١/٤).

والأبهر: عرق مستبطن في الصُّلب ، والقلب متصل به ، فإذا انقطع لم تكن معه حياة. قاله ابن منظور في «لسان العرب».

قال ابن القيم رحمه الله:

ولما احتجم النبي ﷺ في الكاهل ، وهو أقربُ المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب ، فخرجت المادةُ السُّمِيَّة مع الدم لا خُروجا كُليّا ، بل بَقِيَ أثرُها مع ضعفه ، لِما يُريد الله سبحانه من تكميلِ مراتبِ الفضل كُلِّها له ، فلما أراد الله إكرامَه بالشهادة ، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامِن من السُّم ليَقضيَ اللهُ أمرا كان مفعولا ، وظهر سِرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقا تَقْتُلُون﴾ ، فجاء بلفظ «كَذَّبتم» بالماضي الذي قد وقع منه وتحقق ، وجاء بلفظ: ﴿تَقتلُون﴾ بالمستقبل الذي يتوقَّعونه ويَنتظرونه. والله أعلم.[1]

قلت: ومحاولات قتل النبي ﷺ كثيرة في الحروب وغيرها ، وكلها بائت بالفشل بحمد الله ، لأن الله تكفل بحفظ دينه وإتمامه ، فلم يمت رسول الله ﷺ حتى بلَّغ رسالة ربه ، فلما بلغها اختاره الله لجواره ، وقد ألف الباحث عبد المنعم الهاشمي كتابا كاملا جمع فيه محاولات اغتيال النبي ﷺ ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.[2]

ومن اللطيف ذكره أن إخبار الله نبيه بعصمته له في الآية المذكورة آنفا جاءت مقرونة بالأمر بتبليغ الرسالة ، فدل على أن العصمة مرتبطة بالتبليغ ، فإذا تم التبليغ ارتفعت العصمة ، وهذا هو الواقع ، والله له العزة والغلبة ، قال الله تعالى ﴿يا أيها الرسول **بلِّغ ما أنزل إليك من ربك** وإن لم تفعل فما بلغت رسالته **والله يعصمك من الناس**﴾.

٧٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أعزَّ به الحق وأهله عِـزًّا لم يُـعِـزَّه بأحد قبله ، وأذل به الباطل وحزبه ذُلا لم يحصل بأحد قبله ، وهذا معلوم باستقراء سيرته وسيرة من قبله من الأنبياء. ومن ذلك أنه رأى في المنام أنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض فوُضِعت في يده ، فوقع الأمر كما رأى ، لأن رؤيا الأنبياء حق ، فأُمَّته وَرِثت كنوز كسرى وقيصر وغيرهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ... بينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض ، فوُضِعت في يدي.

---

[1] «زاد المعاد» (١٢٣/٤).

[2] الناشر: شركة مكتبة البخاري – الكويت.

قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثِلونها.[1]

قال ابن حجر في «فتح الباري»: ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من الفتوح، وقيل المعادن.

وقول أبي هريرة (وأنتم تنتثِلونها) أي تستخرِجونها.[2]

٧٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه رأى انتصار دينه واعتزاز أمته واندحار عدوه ودخول الناس في دين الإسلام أفواجا ، كل هذا حصل قبل وفاته ، فلم يمُت إلا وقد قرَّت عينه بهذا كله ، ثم جاء الخلفاء الراشدون من بعده ، وساروا على خُطاه ، فانتشر دين الله في الأرض ، وصارت الغلبة للإسلام والمسلمين قرونا متطاولة.

٧٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مستعدون للتضحية بأنفسهم وأموالهم عن أن تقال كلمة تمس مكانة النبي ﷺ أو مكانة زوجاته أو أصحابه أو أن يُنتقص من أقدراهم.

يدل لهذا أنه كلما تعرضت وسيلة إعلامية للنيل من قدر النبي محمد ﷺ أو قدر أحد من زوجاته ، قامت في المقابل احتجاجات في بلاد المسلمين على المستويين السياسي والشعبي ضد تلك الهجمات، سواء كانت تلك الهجمات على شكل مقالات أو رسومات كاريكاتيرية أو غيرها ، بل وتصدر من المجامع العلمية الإسلامية بحوث وكتب ، وتُقام مؤتمرات وندوات ومحاضرات ، في الدفاع عن النبي محمد ﷺ والتعريف به وبدينه.

ومن العجائب أنه كلما حصل هجوم على مكانة النبي ﷺ في وسائل الإعلام الغربية حصل في المقابل شغف عند عدد كبير من الناس عندهم للتعرف على شخصية النبي ﷺ ، وقد ترتب على هذا دخول عدد ليس بالقليل إلى دين الإسلام لما تبينت لهم الحقيقة ، فسبحان الله القدير ، كيف قلب كيد أعداء الإسلام عليهم ، ومكر بهم كما مكروا بنبيه ، حيث جعل هجومهم على نبيه الكريم سببا لدخول من حاولوا إغوائهم إلى دينه ، فسبحان من حارت بحكمته وتدبيره العقول.

٧٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أَغلق أبواب الجنة عمَّن أعرض عن دينه وسلك غير طريقه ولم يقتدِ به ، كما قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

---

[1] رواه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣).

[2] انتهى باختصار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.
قالوا: يا رسول الله ، ومن يأبى؟
قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[1]
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
والذي نفسي بيده ، لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرَد على الله كشِراد[2] البعير.
قال: يا رسول الله ، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟
قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[3]

٧٩. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أن المسيح عليه السلام – وهو من أولي العزم من الرسل – سيكون أحد أتباعه ، بل سيكون واليا على المسلمين كلهم ، مطبقا للشريعة الإسلامية ، وسيكون هذا إذا نزل المسيح في آخر الزمان ، فيقتل الدجال ومن معه من اليهود ، ويُهلِك الله قوم يأجوج ومأجوج بسبب دعائه عليهم ، ثم يكون واليا على المسلمين بعد المهدي ، وتكون مدة لبثه في الأرض أربعون سنة.[4]

٨٠. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ كونه رحمة للعالمين ، كما جاء التعبير بذلك بدلالة الحصر في موضع من الكتاب ، وموضعين من السنة ، فأما الكتاب فقال الله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، وأما السنة فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس ، **إنما أنا رحمة مهداة.**[5]

ولما قيل للنبي ﷺ : أُدع على المشركين ، قال: إني لم أبعث لعَّانا ، **وإنما بُعثت رحمة.**[6]

فتأمل التعبير بأداة الحصر «إنما».

---

[1] رواه البخاري (٧٢٨٠).

[2] أي كما يشرد البعير إذا نفر وذهب عن صاحبه ، والمقصود بالشرود هنا الخروج عن طاعة الله.

[3] رواه ابن حبان (١٩٦/١ – ١٩٧) ، ورجاله رجال مسلم ، والحديث له شواهد تقويه كحديث أبي هريرة المتقدم ، وحديث أبي هريرة الذي رواه أحمد (٣٦١/٢) وغيره ، وسنده على شرط الشيخين كما قال الحافظ في «الفتح» ، شرح حديث (٧٢٨٠).
باختصار من حاشية الشيخ شعيب على الحديث أعلاه.

[4] انظر «مسند أحمد» (٤٠٦/٢) ، وقد صححه محققوه (٩٢٧٠).

[5] رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٥٧/١) ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٩٠).

[6] رواه مسلم (٢٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً ، فقال: أنا محمد ، وأحمد ، والمُقَفِّي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، **ونبي الرحمة**.[1]

قلت: وكونه ﷺ رحمة للعالمين يتضح من عشرة وجوه ، أفردتُها في ملحق مستقل يتبع هذا الفصل.

٨١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختص الله به أمته من خصائص ، ورؤوسها عشرون ، وقد أفردت تلك الخصائص في ملحق مستقل يتبع هذا الفصل.

٨٢. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن سيرته محفوظة بتفاصيلها الدقيقة ، بخلاف غيره من الأنبياء أو العظماء بشكل عام ، وبهذا يكون النبي ﷺ كتابا مفتوحا لكل مُسترشدٍ وطالب للهداية الربانية إلى نهاية الدنيا ، وقد أفردت تلك الخصائص في ملحق مستقل.

٨٣. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ كثرة ما أُلِّفَ في سيرته ، مما أثار انبهار بعض المستشرقين ، قال الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله في كتابه «الرسالة المحمدية»[2]، ص ٨٧ ، مشيرا إلى الجهود التي بذلها العلماء على مر القرون في الكلام على سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

كُـتُـب السيرة النّبوية تعدُّ بالألوف

الذي ألفه الناس في سيرة النبي صلّى الله عليه وسلم من عهد الرسالة إلى يومنا هذا في مختلف الأوطان الإسلامية والأجنبية في معظم لغات العالم يعدّ بالألوف، واعتبِر ذلك بما صُـنِّـف باللغة الأوردية[3] الحديثة وحْدها في موضوع السيرة النبوية، مع أن الأوردية لم تَـصِـر لغة تأليف إلا منذ قرنين على الأكثر، وفي تقديري أَنّ ما صُـنِّف بها وحدها في السيرة النبوية يبلغ ألفا إن لم يزد عليه.

---

[1] رواه مسلم (٢٣٥٥).

[2] عناية: سيد عبد الماجد الغوري، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[3] الأوردية لغة الباكستان.

مرجليوث[1] أشدّ المستشرقين تحاملا على الإسلام ومع هذا أنصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم في جانب كثرة ما أُلِّف فيه

ودَع عنك المسلمين وما صنفوا في سيرة نبيّهم صلّى الله عليه وسلم، فإنّهم يحبّونه حبّا عظيما، ويُقدمون ذلك بين يدي الله فَرَطا وذُخرا لهم يوم القيامة، وتعال ننظر إلى من ألَّف في سيرته ممّن لا يؤمنون بنبوته، ولا يُوقنون برسالته، فإننا نجد في الهند نفسها على اختلاف مللها من «الهنادك»، و «السِّيخ»، و «البرهمو سماج» كثيرا من علمائهم قد ألفوا في سيرته صلّى الله عليه وسلم، أما الأوربيون الذين لا يدينون بالإسلام، ولا يؤمنون بالرسالة المحمدية فقد صَنّف منهم في سيرة النبي صلّى الله عليه وسلم حتى المُبَشِّرون من دعاة النصرانية والمستشرقون، عناية منهم بالتاريخ، وإرواء لظمئِهم العلمي، **ويُعَدُّ ما ألَّفوه في ذلك بالمئات.**[2]

وكنت قرأتُ[3] في مجلة «المقتبَس» التي كانت تصدر في دمشق قبل نحو أربعين سنة إحصاءً لما صُنِّف في السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوربية، فبلغ نحو ثلاثمائة كتاب وألْف كتاب، ولو أضفنا إلى هذا العدد ما صدر من المطابع الأوربية في السيرة النبوية خلال الأربعين سنة بعد ذلك الإحصاء الذي نشرته مجلة «المقتبس» لَأربى[4] على ذلك كثيرا. وإنّ مرجوليوث David Samuel Margoliouth الذي كان أستاذا للغة العربية في جامعة أوكسفورد أصدر في سنة ١٩٠٥م كتابه «محمد» وجعله حلقة في سلسلة «عظماء الأمم»، وهو لم يكتب كتابه هذا لِيُثني فيه على رسول

---

[1] ديفيد صمويل ماركليوث، إنجليزي يهودي، (١٨٥٨ – ١٩٤٠م)، كان من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، ولفترة قصيرة عمل قساً في كنيسة إنجلترا. هو أحد الذين كتبوا دائرة المعارف الإسلامية، متهم بالتهويل وعدم التوثيق فيما يخص التاريخ الإسلامي، ومع هذا فقد كتب في النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ما هو مذكور أعلاه.

عُيِّن أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد، وله كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها، مات سنة ١٩٤٠م، من مؤلفاته : «التطورات المبكرة في الإسلام»، و «محمد ومطلع الإسلام»، له ترجمة في كتاب «الأعلام» للزركلي، و «المستشرقون»، و «الاستشراق»، و «آراء المستشرقين حول القرآن».

نقلا من wikipedia.org .

[2] هذا الاعتراف بكثرة ما أُلِّف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يدل على عِظَم قدره صلى الله عليه وسلم.

[3] لا زال الكلام للشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله.

[4] أربى أي زاد.

الله محمد صلّى الله عليه وسلم، بل لعلّه لم يؤلفَ كاتبٌ بالإنجليزية كتابا أشدّ تحاملا على النبي صلّى الله عليه وسلم مما جاء في هذا الكتاب، وقد حاول مرجليوث أن يشوّه كلّ ما يتعلق بالسيرة الشريفة، وأن يشكّك في أسانيدها، ولم يألُ جهدا في نقضِ ما أبرمَه التاريخ، ومعارضة ما حقّقه المحقّقون من المُنصفين، **لكنه مع كل هذا لم يتمالك عن الاعتراف في مقدمة كتابه بأنّ الذين كتبوا في سيرة محمد صلّى الله عليه وسلم لا ينتهي ذكر أسمائهم، وأنهم يرون أن من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوّئه مجلسا بين الذين كتبوا في السيرة المحمدية.**

انتهى كلام الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله من كتابه «الرسالة المحمدية».

٨٤. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ شهادات بعض المُستشرقين – من العلماء والمُفكرين غير المسلمين – على عِظَم قدره ، ومن ذلك ما قاله «مايكل هارت[1]» في مقدمة كتابه «المِئة الأوائل»، والذي اختار فيه النبي محمد ﷺ على رأس مئة عظيم ذَكَرَ أسماءهم في كتابه المشار إليه ، وهؤلاء المئة كان لهم عظيم التأثير في البشرية على مدى عصورها ، قال:

"إن اختياري محمداً ليكون على رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيراً قد يُدهِش بعض القراء وقد يثير التساؤل عند آخرين، ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل – كل الكمال – على الصعيدين الديني والدنيوي.

لقد وضع محمد وأَسَّسَ أحد أعظم الأديان في العالم اعتمادا على وسائل جدَّ ضئيلة ، وأصبح قائداً سياسياً مؤثر للغاية. واليوم وبعد ثلاثة عشر قرناً بعد وفاته فلا يزال تأثيره قوياً ومنتشرا".

ثم قال:

"إذن كيف يمكننا أن نُقَيِّم أثر محمد الكُلِّي على التاريخ البشري؟

---

[1] مايكل هارت ، فيزيائي فلكي أمريكي ، ولد سنة ١٩٣٢ ، وهو صاحب كتاب «**الخالدون المئة**» ، والاسم الأصلي للكتاب بالإنجليزية:

The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History

وفيه ترتيب أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ ، ضمت القائمة على رأسها اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأسماء الأنبياء عيسى وموسى عليهما السلام ، كما ضمت أسماء مؤسسي الديانات الوضعية ومبتكري أبرز الاختراعات والاكتشافات التي غيرت مسار التاريخ، مثل مكتشف الكهرباء ومخترع الطائرة وآلة الطباعة ، وأيضا قادة الفكر وغيرهم.

انظر ترجمته في Wikipedia .

إن الإسلام له نفوذ هائل على حياة أتباعه، كما هو الحال في جميع الأديان. ولهذا السبب فإن القارئ سيجد أسماء مؤسسي معظم الأديان في هذا الكتاب.

وبما أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم فقد يبدو غريباً تصنيف محمد في مرتبة أعلى من يسوع المسيح. ولكن هنالك سببين رئيسيين لذلك القرار:

أولهما: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لعب دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام من الدور الذي لعبه المسيح في تطوير المسيحية، مع أن المسيح كان مسئولا عن المبادئ الأخلاقية للديانة المسيحية (في النواحي التي تختلف بها هذه المبادئ عن الديانة اليهودية)، إلا أن **القديس بولس كان المطوَّر الرئيسي للاهوت المسيحي[1]، وكان الداعي الرئيسي للمعتقدات المسيحية، والمؤلف[2] لجزء كبير من العهد الجديد.**

أما محمداً فكان مسئولا عن العقيدة الإسلامية ومبادئها الرئيسية الأخلاقية[3]. بالإضافة إلى ذلك فقد لعب دوراً قيادياً في دعوة الناس للدين الجديد وتأسيس الشرائع الدينية في الإسلام ...

وبما أن القرآن له تأثير على المسلمين يشبه تأثير «الكتاب المقدس»[4] على المسيحيين، فإن نفوذ محمد من خلال القرآن كان هائلاً.

ومن المحتمل أن تأثير محمد على الإسلام أكبر بكثير من التأثير المزدوج للمسيح والقديس بولس على المسيحية؛ ولهذا فإنه من وجهة النظر الدينية الصِّرفة فيبدو أن محمداً كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كتأثير المسيح.

---

[1] من المعلوم أثر بولس التدميري لديانة المسيح، فقد غَيَّرَ دين المسيح إلى دين مختلف تماما، لا يشترك مع دين المسيح الأصلي إلا بالاسم فقط.

[2] انظر إلى اعترافه بأن بولس ألف كتبا وأدخلها في الإنجيل الذي عبر عنه بالعهد الجديد، فأي تحريف بشري أعظم من هذا؟ والغريب أن المسيحيين لا زالوا يعتبرون الإنجيل كلام الله!

[3] يقصد أنه لم يتدخل أحد في دين الإسلام، فلم يتعرض الإسلام لزيادة بشرية كما فعل بولس في دين المسيح، بل بقي الدين الإسلامي كما أنزله الله عليه إلى الآن غضا طريا.

[4] النصارى يقدسون الأناجيل التي بين أيديهم ويعتبرونها كلام الله، مع أنها منسوبة لبشر مثل يوحنا ولوقا ومرقص ومتى والخبيث بولس!

يضاف إلى ذلك فإن محمداً يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً كما أنه كان زعيما دينيا، وفي الحقيقة **فإنا إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً يصبح أعظم قائد سياسي مؤثر عبر الزمن.**"

ثم قال في خاتمة مقاله:

"ومن هذا نرى أن الفتوحات الإسلامية التي تمت في القرن السابع استمرت لعبت دوراً هاماً في تاريخ البشرية حتى يومنا هذا، وأن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً هو الذي يجعلني **أُرشِّح محمداً ليكون أعظم شخصية مؤثرة في تاريخ البشرية**".

***

شهادة الشاعر الفرنسي «لامرتين» على عظمة محمد (صلى الله عليه وسلم)

قال «لامرتين»[1]:

((لو كانت **عظمة الهدف أو الغاية** ، وكانت **بساطة وضآلة تكاليف الوسيلة** ، بالإضافة إلى **تحقيق النتائج الباهرة بنجاحٍ وسلاسةٍ** هي المعايير الثلاثة للعبقرية البشرية ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيَّ رجل من عظماء التاريخ الحديث بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم؟

وقال: لو كان مقياس العظمة هو إصلاح شعب متدهور ، فمن ذا يتطاول إلى مكان محمد صلى الله عليه وسلم؟

لقد سما بأمة متدهورة ، ورفعها إلى قمة المجد ، وجعلها مِشعلاً للمدنية ، ومورداً للعلم والعرفان.

ولو كان مقياس العظمة هو توحيد البشرية المفككة الأوصال ، فمن أجدر بهذه العظمة من محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي جمع شمل العرب ، وجعلهم أمة واحدة ، وإمبراطورية شاسعة؟

ولو كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء في الأرض ، فمن ذا الذي ينافس محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقد محا مظاهر الوثنية ، لتصبح عبادة الخالق وحده[2].

---

[1] الفونس دي لامارتين ، كاتب وشاعر وسياسي فرنسي (١٧٩٠م – ١٨٦٩م). المرجع: wikepedia.org

[2] أي: لتصبح عبادة الله وحده هي المهيمنة والظاهرة على الأرض.

ولو كان مقياس العظمة هو الأثر الذي يخلّده في النفوس على مرَّ الأجيال ، فها هو محمد صلى الله عليه وسلم يتبعه مئات الملايين من الناس من مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم)).

ويُـنهِي «لامرتين» مقالَهُ محدِّدًا صفات النبي صلى الله عليه وسلم وإنجازاته قائلاً:

((حكيمٌ ، خطيبٌ ، رسولٌ من رسل الله ، مُـشرِّعٌ ، محاربٌ ، منتصر الفكر ، مساند للعقائد المعقولة ، هادم للأصنام بمختلف صورها ، **مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية ، وإمبراطورية روحية واحدة** ، ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وبكل المقاييس والمعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر ، يجوز لنا أن نسأل سؤالاً له كلّ الوجاهة:

هل يوجد أي رجلٍ أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم؟!))[1]

***

شهادة فيلسوف إنجليزي نصراني على عظمة النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم[2]

مِن أشهر من كَـتب عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الإنصاف «توماس كارليل»[3] ، الفيلسوف الإنجليزي المشهور ، والحائز على جائزة نوبل ، فقد تكلم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه «الأبطال» كلامًا طويلاً ، خاطب به قومه من النصارى ، وقد أشار بوضوح إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته ، وإلى عظمة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب حياته وشخصيته ، فكان من قوله:

---

[1] قاله لامرتين في كتابه «تاريخ الأتراك» ، باريس ، ١٨٥٤م ، نقلا عن «محمد صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء العالم» ، أحمد ديدات ، ص ٦٧ – ٦٨ .

[2] انتقيت هذه الفائدة من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٣٢-٣٣ ، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض.

[3] **توماس كارليل** Thomas Carlyle، ١٧٩٥ – ١٨٨١م، كاتب اسكتلندي، له كتاب «الأبطال وعبادتهم»، اعترف بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعظمته. انظر ترجمته في wikepedia.org .

((لقد أصبح من أكبر العار على أي فردٍ متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يُقال من أن دين الإسلام كَـذِب ، وأن محمدًا خدَّاعٌ مزوّر.

وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لنحو مائتي مليون من الناس.[1]

أيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا ، فلو أن الكذب والغشَّ يَرُوجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل هذا القبول ، فما الناس إلا بُلْـهٌ مجانين.

فواأسفاه ما أسوأ هذا الزعم ، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة.

هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره علناً؟!

والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجصَّ والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيتٍ ، وإنما هو تلّ من الأنفاق ، وكثيب من أخلاط المواد ، **وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا ، يسكنه مائتا مليون من الأنفس**[2] ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم ، فكأنه لم يكن)).

ثم قال: ((وعلى ذلك فلسنا نـعُـدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعًا ، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته ، ويطمح إلى درجة ملكٍ أو سلطان ، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حقٌّ صراح ، وما كلمته إلا قولُ صادقٍ.

كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا الملفِّق ، وهذه حقيقة تدفع كلَّ باطل ، وتدحض حجةَ القوم الكافرين.

---

[1] قال كاتب المقالة الأستاذ خالد أبو صالح: أصبح عدد المسلمين اليوم نحو مليار وثلاثمئة مليون إنسان.

[2] هذا في وقت كتابة الكلام ، أما في وقتنا الحاضر فالعدد مختلف ، انظر الحاشية السابقة.

ثم لا ننسَ شيئًا آخر ، **وهو أنه لم يتلق دروسًا على أستاذٍ أبدًا ، ولم يقتبس محمد من نور أي إنسانٍ آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء ، أولئك الذي أُشبّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور))**[1].

وكم من كتابات كتبها كفار معاصرون في عظماء البشرية ، ويجعلون النبي محمدا ﷺ هو أول العظماء أو من العظماء[2] ، وأما من القديم فقد ذكر السهيلي رحمه الله في كتابه «الروض الأنف» عن هرقل – ملك الروم – قال:

وقد روي أن هرقل وضع كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب إليه في قَصَبةٍ من ذهب[3] تعظيما له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع صِوان[4] وأعز مكان ، حتى كان عند «إذفونش» الذي تغلب على طليطلة وما أخذ أخْذها من الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسُّليطين ، حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته[5] من قواد أجناد المسلمين كان يُعرف بعبد الملك بن سعيد قال: فأخرجه إلي فاستعبرتُه[6] وأردت تقبيله وأخْذَه بيدي فمنعني من ذلك ، صيانة له وضنًّا[7] به علي. انتهى.[8]

٨٥. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أنه حصل له من الآيات والفضائل نظير ما حصل لجمعٍ من إخوانه الأنبياء وزيادة. وهذا أوان التفصيل.[9]

---

[1] نقلا من كتاب «الطريق إلى الإسلام» ، لمحمد بن إبراهيم الحمد ، ص ٢٦ وما بعدها.

[2] انظر «الموسوعة العلمية البريطانية» ، وانظر كتاب «الخالدون مائة» والذي جعل فيه مؤلفه «مايكل هارت» محمدا أعظم الناس.
وانظر مقال «الانتصار لرسول الله محمد ﷺ أزكى البشرية» للشيخ خالد الشايع ، وهو منشور على شبكة المعلومات.

[3] أي ذهبةٍ مجوفة. انظر «النهاية».

[4] الصِّوان وعاء يصان فيه الشيء. انظر «لسان العرب».

[5] أي الكتاب.

[6] أي أخرجت العبرة وهي الدمعة ، لعله يرِقُّ لي.

[7] الضن هو البخل بالشيء لمكانته عند صاحبه. انظر «لسان العرب».

[8] (٣٦٥/٧) ، الناشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ط ١٤١٤ .

[9] استفدت جملة كبيرة من هذه الفضائل من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله ، كتاب: دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله ﷺ مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله ، وأعلى منها ، خارجة عما اختص به من المعجزات العظيمة التي لم يكن لأحد قبله منهم عليهم السلام.

آدم عليه السلام

أسجد الله لآدم عليه السلام ملائكته تحيةً له ، وهذا فيه ثناء وتشريف عظيم له عليه السلام ، وقد حصل هذا وانتهى في حينه.

أما محمد ﷺ فقد حصل له نظير ذلك وزيادة ، فإن الملائكة تُثني عليه على الدوام إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى ﴿إن الله وملائكته يُصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليما﴾.

وصلاة الملائكة تعني الدعاء له بالثناء والرفعة ، وقد حصل هذا التشريف والرفعة كما هو معلوم مشاهد.

هود عليه السلام

من الآيات الدالة على نبوة هود عليه السلام أن الله أهلك قومه بالريح ، وقد حصل نظير ذلك للنبي محمد ﷺ وزيادة ، فإنه لما اجتمع الأحزاب عليه وحاصروا المدينة ، كسرهم الله عنه ونصره عليهم بالريح ، وبيان ذلك أن قوم هود – وهم عاد – قال تعالى عنهم ﴿وأما عاد فأُهلِكوا بريحٍ صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيامٍ حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾.

ولما حاصر مشركو مكة النبي ﷺ وهو بالمدينة ، وناصرهم في هذا المنافقون واليهود ، وصاروا أحزابا ثلاثة ؛ أرسل الله عليهم ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم ، ففكوا الحصار رغما عنهم ، عقوبة لهم ونصرة لنبيه ﷺ ، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾.

وفي هذا قال ﷺ : نُصِرت بالصَّبا ، وأُهلِكت عاد بالدَّبور.[1]

والدَّبور ريح تهب من جهة المغرب ، وتقابلها الصَّبا ، والتي تهب من جهة المشرق.

صالح عليه السلام

ولمزيد فائدة يراجع أيضا الفصل الثالث والثلاثون من كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله ، في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي عليه السلام. وهذا الكتاب مطبوع بتحقيق د. محمد رواس قلعه جي ، د. عبد البر عباس ، الناشر: دار النفائس – بيروت.

[1] رواه البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرج الله لصالح ناقة من صخرة ، فجعلها له آية دالة على نبوته وحُجة على قومه ، وقد حصل نظير هذا لنبينا محمد ﷺ بل أبلغ من ذلك ، فإن ناقة صالح لم تكلمه ولم تستكين له ، في حين أن نبينا ﷺ شهِدت له بعض الحيوانات ، وشكت له بعضها بعض ما تجد من أربابها ، ومن ذلك شهادة الذئب له بالنبوة ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى بِالْحَرَّةِ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شَائِهِ ، فَجَاءَ الرَّاعِي يَسْعَى فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلا تَتَّقِي اللَّهَ ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟ قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ لِلذِّئْبِ ، وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ ، يُكَلِّمُنِي بِكَلامِ الإِنْسِ. قَالَ الذِّئْبُ لِلرَّاعِي: أَلا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا؟ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ[1] ، يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَزَوَاهَا[2] فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ الذِّئْبُ[3] ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلرَّاعِي: "قُمْ فَأَخْبِرْ" ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ ، وَقَالَ ﷺ : "صَدَقَ الرَّاعِي ، أَلا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلامُ السِّبَاعِ الإِنسَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنسَ ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلُ نَعْلَهُ وَعَذَبَةَ سَوْطِهِ ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ".[4]

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطا[5] لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضِح[6] له ، فلما رأى النَّبيَّ ﷺ حنَّ وذرَفت عيناه[7] ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[8] وسَراتَهُ[9] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[10]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا. أنا.

---

[1] الحرتين مثنى حرة ، والحَرَّة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة ، والمدينة لها حرتان شرقية وغربية. انظر «النهاية».

[2] زواها أي جمعها وضمها.

[3] زاد أحمد هنا أن النبي ﷺ أمر فنودي في المسجد: (الصلاة جامعة) ، ليجتمع الناس ويسمعوا قول الراعي.

[4] رواه أحمد (٣/٨٣-٨٤) وابن حبان (٦٤٩٤) واللفظ له ، وقال الشيخ شعيب في حاشيته عليه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[5] الحائط هو البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. انظر «النهاية».

[6] النضح هو رش الماء ، والناضح هو الجمل الذي يُستقى عليه الماء. انظر «النهاية».

[7] أي ذرفت دمعا.

[8] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[9] سراته أي سنامه. انظر «النهاية».

[10] ربُّ الجمل أي صاحبه.

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِبُهُ[1] .[2]

وقد تقدم ذكر قصة الحُمَّرةِ التي جاءت تشتكي إلى النبي ﷺ لما أخذ بعض الصحابة فرخيها ، فقال النَّبي ﷺ فقال: من فَجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها.

داود عليه السلام

ومن فضائل داود عليه السلام أنه أوتي تسبيح الجبال ، فكان إذا سبَّح الله سبَّحت الجبال والطير معه ، فاجتمع له تسبيح الجمادات والبهائم ، وقد وقع نظير ذلك للنبي محمد ﷺ ، فقد سبَّح الطعام في يده وهو يؤكل ، وسمعه الصحابة.

قال الله في حق داود عليه السلام ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال **سبحي** معه والطير﴾ ، وقال ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه **يسبحن** بالعشي والإشراق * والطير محشورة كل له أواب﴾.

وقد حصل نظير ذلك وزيادة للنبي محمد ﷺ ، فقد سمع الصحابة تسبيح الطعام مرة وهو موضوع بين يدي النبي ﷺ يأكلون منه ، فعن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قل ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[3] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا **نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل**.[4]

سليمان عليه السلام

من فضائل النبي سليمان عليه السلام أن سخَّر الله له الجن ، يطيعونه طاعة ملَكِيةً ، طاعة العبيد لملوكهم ، وقد سخر الله لنبينا الجن نظير ذلك وزيادة ، فطاعة الجن لنبينا ﷺ طاعة نبوية.[5]

---

[1] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

[2] تقدم تخريجه.

[3] أي بقية من ماء قليلة.

[4] رواه البخاري (٥٦٣٩).

[5] انظر كتاب «النبوات» ، ص ٨٤١ .

قال الله عن جِن سليمان ﴿وحُشِر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزَعون﴾[1] ، ومعنى يوزعون أي يُكَفُّ أولهم على آخرهم ، فلا يتقدم أحد عن منزلته ، فيَسيرون منتظمين.[2]

وقال الله عنهم أيضا ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾[3]. أي: فمن يعدل منهم عن طاعة النبي سليمان فستكون عقوبته النار المستعرة.

فطاعة الجن لسليمان هي طاعة العبيد لملوكهم ، طاعة قسرية ، وليست اختيارية ، وقد حصل نظير ذلك وزيادة للنبي محمد ﷺ ، فطاعة الجن لمحمد طاعة نبوية اختيارية ، قال الله عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.[4]

وقال تعالى عنهم في سورة الجن ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ ... الآيات.

كذلك فإن الله سبحانه وتعالى سخَّر الجن بين يديه ، تعمل له ما يشاء من محاريب (أي مساجد) وتماثيل (أي صور من نحاس وزجاج) وجِفانٍ كالجواب (أي قِصاع كالأحواض يجتمع فيها الماء) وقدور راسيات (أي ثابتة لا تتحرك من مكانها).

أما النبي محمد ﷺ فقد سخَّر الله له الملائكة في بعض غزواته ، في بدر وأحد وحنين والأحزاب ، تنصره وتثبته ، وهذا أجل وأعظم من تسخير الجن لأن عمل الملائكة هو نصرة النبي ومن معه من الصحابة المؤمنين والقتال معه ، بينما عمل الجن هو ما تقدم من صنع المحاريب والتماثيل والجِفان والقدور.

كذلك فإن مردة الشياطين تُصفَّد في رمضان ببركة الشريعة التي جاء بها النبي محمد ﷺ ، وهذا نظير ما حصل لسليمان من إذلال الشياطين بين يديه ، كما جاء في الحديث: إذا دخل شهر رمضان فُتِّحت أبواب الجنة ، وغُلِّقت أبواب النار ، وصُفِّدت الشياطين.[5]

---

[1] سورة النمل: ١٧ .

[2] انظر تفسير الآية عند ابن كثير رحمه الله.

[3] سورة سبأ: ١١ .

[4] سورة الأحقاف: ٣٠ – ٣١ .

[5] رواه البخاري (١٨٩٩) ، ومسلم (١٠٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كذلك فقد جمع الله لسليمان عليه السلام النبوة والمُلك كما كان أبوه من قبله ، داود عليه السلام ، وأما محمد ﷺ فقد خيره الله بين المُلك والنبوة وبين أن يكون عبدا رسولا فاختار الأخرى ، وهذا يتضمن مزيد رفعة وقدر للنبي ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملَكٌ ينزِل ، فقال له جبريل: إن هذا الملَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة ، فلما نزل قال: يا محمد ، أرسلَني إليك ربك ، أفملِكًا نبيا يجعلُك أو عبدا رسولا؟

قال جبريل: تواضع لربك يا محمد.

فقال رسول الله ﷺ : بل عبدا رسولا.[1]

قلت: وقد تقدم بيان أن العبد الرسول أفضل من الملِك النبي من وجهين:

الأول: أن الرسول يكون مبعوثا إلى قوم كافرين ، وأما النبي فيكون مبعوثا إلى قوم مؤمنين ، فمهمة الرسول أصعب فلهذا كان أفضل ، وقد تقدم معنا بيان الفرق بين النبي والرسول في هامش الدليل الثاني.

الوجه الثاني: أنَّ من كان عبدا فإنه لا يتصرف فيما تحت مُلكه إلا بإذن الله ، قال ﷺ : إنما أنا قاسم ، والله يعطي.[2]

وأما من كان ملِكا فإنه يتصرف كما يشاء من غير إثم عليه.

فحال الأول أكمل من حال الثاني فيما يتعلق بالعبودية لله تعالى.[3]

ومن الآيات الدالة على نبوة سليمان عليه السلام فهم منطق البهائم والطير ، كالنمل والهدهد ، كما هو معلوم ومذكور في سورة النمل ، كما قال الله تعالى عنه ﴿وورِث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾، وقال الهدهد مخاطبا سليمان ﴿أحطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ ، ولما قالت النملة ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطِمنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ ، تبسم سليمان من قولها ، فالحاصل أن الله قد آتى سليمان فهم منطق الطير والبهائم.

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] رواه البخاري (٧١).

[3] انظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «النبوات» (١٦٣ ، ٨٤١) ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض ، وانظر أيضا «مجموع الفتاوى» (١١/١٨٠-١٨٢) ، (١٣/٨٩).

وقد حصل ذلك نظير هذا للنبي محمد ﷺ ، كما في قصة الجمل المتقدمة قريبا ، والذي رأى النَّبيَّ ﷺ ، فحنَّ وذرفت عيناه ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[١] وسَراتَهُ[٢] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[٣]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا.

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِبُهُ[٤].[٥]

بل قد أوتي نبينا محمد ﷺ مزيدا على فهم خطاب البهائم ، فقد أوتي خطاب الحجر له وفهمها لخطابه ، وهذا قدر زائد على ما آتاه الله سليمان عليه السلام ، لأن البهائم لها صوت بخلاف الجمادات ، ومن ذلك قوله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[٦]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَعَدَ إلى أُحُدٍ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: أُثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[٧]

ومن الجمادات التي كلمت النبي ﷺ ذراع الشاة المسمومة التي أكل منها النبي ﷺ ولم يعلم بها أنها مسمومة ، فأخبرته بأنها مسمومة ، وقد تقدمت القصة بطولها قريبا.

بل قد سخر الله الشجر لنبينا ﷺ ، ففهموا خطابه ، وهذا شيء لم يؤتَـهُ سليمان عليه السلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتى النبي ﷺ رجل من بني عامر فقال: يا رسول الله ، أَرِني الخاتم الذي بين كتِفيك ، فإني من أطَبِّ الناس[٨].

فقال له رسول الله ﷺ : ألا أُريك آية؟

قال: بلى.

---

[١] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[٢] سراته أي سنامه. انظر «النهاية».

[٣] ربُّ الجمل أي صاحبه.

[٤] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

[٥] تقدم تخريجه.

[٦] تقدم تخريجه.

[٧] تقدم تخريجه.

[٨] أي أعرفهم بالطب ، يظن أن النبي ﷺ يحتاج إلى علاج!

قال: فنظر إلى نخلة فقال: أُدعُ ذلك العَذْق[1].

قال: فدعاه ، فجاء ينقُــزُ حتى قام بين يديه.

فقال له رسول الله ﷺ : اِرجع. فرجع إلى مكانه ، فقال العامري: يا آل بني عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسْحر.[2]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أين تريد؟

قال: إلى أهلي.

قال: هل لك إلى خير؟

قال: ما هو؟

قال: تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

قال: هل من شاهد على ما تقول؟

قال: هذه السَّمُرة[3].

فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تَخُـدُّ[4] الأرض خدا ، حتى كانت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال[5] ، ثم رجعت إلى منبَتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني آتيك بهم ، وإلا رجعت إليك فكنت معك.[6]

ومن ذلك أيضا أنه دعا شجرتين ليستتر بهما ليقضي حاجته فانقادت الشجرتان له فلما قضى حاجته رجعتا ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ[7] ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[8] مِنْ مَاءٍ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ

---

[1] العَذْق هو النخلة. انظر «النهاية».

[2] تقدم تخريجه.

[3] السَّمُرة نوع من أنواع الشجر.

[4] تـخُدُّ أي تشق ، ومن الأخدود وهو الشق في الأرض.

[5] أي شهِدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

[6] تقدم تخريجه.

[7] أفيح أي واسع. انظر «النهاية».

[8] الإداوة إناء صغير يحمل فيه الماء. انظر «المعجم الوسيط».

يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[1] الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا ، يَعْنِي جَمَعَهُمَا ، فَقَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّه ، فالتأمتا.[2]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزينٌ قد خُضِبَ[3] بالدماء ، قد ضربه بعض أهل مكة ، فقال: ما لَكَ؟

فقال: فعل بي هؤلاء وفعلوا.

فقال له جبريل عليه السلام: أَتُحِبُّ أن أُريك آية؟

قال: نعم ، أرِني.

فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: أُدعُ تلك الشجرة. فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال: قل لها فلترجع ، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها.

فقال رسول الله ﷺ : حسبي.[4]

وعن معن بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبي قال: سألتُ مسروقاً: من آذنَ[5] النبي ﷺ بالجنِّ ليلة استمعوا القرآن؟

فقال: حدثني أبوك — يعني ابن مسعود — أنه آذنت بهم شجرةٌ.[6]

فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى قد آتى محمدا ﷺ من الفضائل والدلائل على نبوته نظير ما آتى سليمان عليه السلام وزيادة.

موسى عليه السلام

---

[1] البعير المخشوش أي الذي وضع في أنفه الخِشاش ، وهو عودٌ يُجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده. انظر «النهاية».

[2] تقدم تخريجه.

[3] خُضِبَ بالدماء أي ابتل بها. انظر «النهاية».

[4] تقدم تخريجه.

[5] آذنَ أي أخبر.

[6] تقدم تخريجه.

ومن فضائل موسى عليه السلام أنه كان يسارع في طاعة الله يريد رضا ربه ، ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ ، وأما النبي محمد ﷺ فقد وعده الله بأن يرضيه ، وهذا قدر زائد عن طلب الرضى من الله ، قال الله عنه ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ، وقال ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾.

كذلك فقد أوتي موسى عليه السلام من الآيات الدالة على نبوته نبع الماء من الحجر إذا ضربه بعصاه ، ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم﴾.

وقد حصل نظير ذلك للنبي ﷺ وزيادة ، فقد أنبع الله الماء من بين يديه ، ومن المعلوم أن نبع الماء من الحجر أمر معروف ، أما نبع الماء من بين اللحم والدم فغير معروف وغير معتاد.

فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قلَّ ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[1] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .

وفي لفظ: فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: ألفا وأربع مائة.[2]

وقصص تكثير الماء بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، وهي مذكورة في «صحيح البخاري» ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وكذا في «صحيح مسلم» ، في كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، وغيرها من كتب الحديث والدلائل.

كذلك ، (فإن فلق البحر لموسى عليه السلام حين أمره الله أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم يعتبر معجزة عظيمة باهرة ، وحجة قاطعة قاهرة.

وفي إشارته ﷺ بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشق فِلقتين وَفقَ ما سأله قريش وهم معه جلوس ليلة البدر لهو أعظم آية وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته وجاهه عند الله تعالى ، ولم ينقل معجزة عن

---

[1] أي بقية من ماء قليلة.

[2] رواه البخاري (٥٦٣٩).

نبي من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا. وهذا أعظم من حبس الشمس قليلا ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت).[1]

قال القاضي عياض رحمه الله: آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ومعجزاته.[2]

ومن الآيات التي أيَّد الله بها نبيه موسى عليه السلام ما أنزله الله على بني إسرائيل لما تاهوا في صحراء سيناء من المَنِّ والسلوى ، نعمة من الله عليهم ، وقد حصل نظير هذا للنبي ﷺ مع أصحابه ، فعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلَفّت الخبز ببعضه ، ثم دسّته تحت يدي ولاثتني[3] ببعضه ، ثم أرسلَتني[4] إلى رسول الله ﷺ ، قال: فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم.

قال: بطعام؟

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة: يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

---

[1] بتصرف من «البداية والنهاية» (٦/٤١٠) ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أوتي موسى عليه السلام.

[2] «إكمال المعلم» (٨/٣٣٣) ، تحقيق يحيى إسماعيل ، ط دار الوفاء (مصر) ، ودار الندوة العالمية (الرياض).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

[3] لاثَ أي لفَّ ، والمقصود أنها لفت بعض الخمار على الخبز وبعضه على إبطه. انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

[4] المتكلم هو أنس رضي الله عنه.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك.

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فَفُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّةً فأدَمَتْهُ[1] ، **ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول**[2] ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.[3]

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة[4] فيها ثريد ، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون.

قال له رجل: هل كانت تُمدُّ[5]؟

قال: فمن أي شيء تَعجَبُ؟ ما كانت تُمدُّ إلا من هٰهنا ، وأشار إلى السماء.[6]

وقصص تكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وقد جمعها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» في نحو من عشر قصص.[7]

---

[1] العُكَّة وعاء من جلد مستدير ، يختص لحفظ السمن أو العسل ، وهو للسمن أخص ، وقوله (أدمته) من أدم الشيء أي جعل معه إداما من لحم ونحوه. انظر «النهاية».

[2] أي ما يقول من الدعاء.

[3] رواه البخاري (٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

[4] القصعة وعاء يؤكل فيه ويُثرد ، أي يصنع الثريد.

[5] أي يُزاد ما فيها.

[6] رواه الترمذي (٣٦٢٥) ، وأحمد (١٨/٥) ، وصححه الألباني ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[7] ومواطن تلك القصص كالتالي:

١) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢١٢٧).

٢) حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه ، رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٢٦١٨) ومسلم (٢٠٥٦).

٣) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري في المغازي (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩).

٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في النكاح (٥١٦٣).

٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢).

٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٧).

فالشاهد هو أن الله سبحانه وتعالى قد آتى محمدا ﷺ من الفضائل والدلائل على نبوته نظير ما آتى موسى عليه السلام وزيادة.

وأما تحول العصا حية بيد موسى فيقابلها تسبيح الطعام وحنين الجذع وتسليم الحجر وانقياد الشجرة إليه[1] ، ولهذا نقل ابن كثير رحمه الله عن شيخه ابن الزملكاني رحمه الله قوله: فهذه جمادات ونباتات ، وقد حَيِيَت وتكلمت ، وفي ذلك ما يقابل انقلاب العصا حية.[2]

عيسى عليه السلام

وكذلك الأمر بالنسبة لعيسى عليه السلام ، فقد أوتي من الآيات الدالة على نبوته أنه كان يبرئ الأكمه ، وهو الذي وُلِد أعمى ، وقد وقع نظير ذلك للنبي ﷺ ، فإن عليا رضي الله عنه اشتكى من عينيه ، فبصق فيها النبي ﷺ ودعا له فشُفِي ، وذلك أن ريق النبي ﷺ مبارك ، وهذا خاص به ﷺ ، لا يُشاركه فيه أحد.[3]

ومن الأدلة كذلك حديث عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ، ادع الله أن يعافيني.

فقال: إن شئت أخَّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك. قال: لا ، بل ادع الله لي. فأمره أن يتوضأ ، وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتُقضى ، وتُشفِّعُني فيه[4] وتُشفِّعُه فيَّ[1] . قال: فكان يقول هذا مرارا. ثم قال بعد: أحسب أن فيها: أن تُشفِّعني فيه. قال: ففعل الرجل فبرِأ.[2]

---

٧) حديث دكين بن سعيد الخثعمي رضي الله عنه ، رواه أحمد (١٧٤/٤) ، وصححه محققو «المسند».

٨) حديث قيس بن النعمان رضي الله عنه ، رواه الحاكم (٨/٣ – ٩) ، وصححه الذهبي ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

٩) حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٧٩/١) ، وحسن إسناده محققو «المسند».

١٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٥٢/٢) ، والترمذي (٣٨٣٩) ، وحسن الألباني إسناده.

[1] تقدم قريبا ذكر هذه القصص.

[2] «البداية والنهاية» (٤٠٦/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أوتي موسى عليه السلام.

[3] انظر صحيح البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

[4] أي تقبل شفاعتي له بقبول دعاءه لي.

ومسح النبي ﷺ رِجل عبد الله بن عتيك وقد انكسرت ، فبرِأت من ساعتها.[٣]

وعن محمد بن حاطب رضي الله عنه قال: وقعت القدر على يدي ، فاحترقت يدي ، فانطُلِق بي إلى رسول الله ﷺ وكان يَتفُلُ فيها ويقول: (أذهب البأس[٤] ، رب الناس) ، وأحسِبه قال: (واشفِهِ إنك أنت الشافي).[٥]

وفي رواية أن أمَّـهُ قالت له: فما قمت بك من عنده حتى برأت يدك.[٦]

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيتُ أثر ضربة في ساق سلمة[٧] فقلت: يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة؟

قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس: (أُصيب سلمة) ، فأتيت النبي ﷺ فنفث[٨] فيه ثلاث نفثات فنا اشتكيتها حتى الساعة.[٩]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجعٍ أشفيت منه على الموت ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشفِ سعدا ، اللهم اشفِ سعدا ، ثلاث مرار. فشُفي.[١٠]

ومن نظائر ما حصل لنبينا عليه السلام مِما آتاه الله المسيح ما نقله ابن كثير رحمه الله عن شيخه العلامة ابن الزملكاني ، رحمه الله تعالى ، في موضوع إحياء الموتى ، حيث قال:

وأما معجزات عيسى ، عليه السلام ، فمنها إحياء الموتى ، وللنبي ﷺ من ذلك كثير ، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت ، وقد كلم النبي ﷺ الذراع المسمومة ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت من وجوه:

---

[١] تُشفعه فيَّ أي تقبل شفاعته لي وهي دعاؤه لي.

[٢] رواه الترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥) وأحمد (١٣٨/٤) ، وصححه الألباني ، وكذا محققو «المسند».

[٣] رواه البخاري (٤٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

[٤] البأس أي المرض.

[٥] رواه أحمد (٢٥٩/٤) ، وقال محققو «المسند»: صحيح ، وهذا إسناد حسن.

[٦] رواه أحمد (٢٥٩/٤) ، وقال محققو «المسند»: صحيح ، وهذا إسناد حسن.

[٧] أي: ابن الأكوع.

[٨] رواه أحمد (٤١٨/٣).

[٩] رواه البخاري (٤٢٠٦).

[١٠] رواه مسلم (١٦٢٨).

أحدها ، أنه إحياءُ جزءٍ من الحيوان دون بقية بدنه ، وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن.

الثاني: أنه أَحياه وحده منفصلا عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية.

الثالث: أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل ، ولم يكن هذا الحيوان يعقل في حياته ، فصار جزؤه حيا يعقل[1].

الرابع: أنه أقدره الله على النطق والكلام ولم يكن الحيوان الذي هو جزؤه مما يتكلم ، وفي هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ﷺ .

قلت[2]: وفي حلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام عليه ، كما روي في «صحيح مسلم» ، من المُعجز ما هو أبلغ من إحياء الحيوان في الجملة ، لأنه كان محلا للحياة في وقت ، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك ، وكذلك تسليم الأحجار والمَدَر[3] عليه ، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة ، وحنين الجذع إليه ، صلوات الله وسلامه عليه. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله.[4]

وقال عمرو بن سوَّاد: قال الشافعي:

ما أعطى الله عز وجل نبيا ما أعطى محمدا ﷺ .

فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى.

فقال: أعطى محمدا الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حين بُنِي له المنبر ، حَنَّ الجذع حتى سُمِع صوته ، فهذا أكبر من ذلك.[5]

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا إسناد صحيح إلى الشافعي رحمه الله ، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله يذكره عن الشافعي رحمه الله وأكرم مثواه ، وإنما قال: فهذا أكبر من ذلك لأن الجِذْع ليس محلا للحياة ، ومع هذا حصل له شعورٌ وَوَجْـدٌ[6] لما تحول عنه إلى المنبر فأَنَّ[1] وحَنَّ حنين العِشار[2] حتى نزل إليه رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكَّنه حتى سكن.

---

[1] قوله أنه يعقل لأنه أخبره بأن فيه سما ، وهذا لا يفعله إلا العقلاء.

[2] القائل هو ابن كثير رحمه الله.

[3] المَدر هو الطين المتماسك. انظر «النهاية».

[4] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أُعطِي عيسى ابن مريم عليه السلام ، (٦/٤٢٨).

[5] رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٦٨) ، وهناك سقط بمقدار سطر في المطبوع ، وقد استدركته من المرجع القادم في «البداية والنهاية».

[6] الوَجد هو المحبة. انظر «النهاية».

قال الحسن البصري: فهذا الجذع حَنَّ إليه ، فأنتم أحق أن تَحِنوا إليه.[٣]

وأما عود الحياة إلى جسدٍ كانت فيهِ بإذن الله فعظيم ، وهذا أعجب وأعظم من إيجاد حياة وشعور في محل ليس مألوفا لذلك ، ولم تكن فيه قبل بالكُلِّية فسبحان الله رب العالمين.[٤]

ومن آيات عيسى عليه السلام أنه كان يخبر ببعض المغيبات ، كما قال تعالى عنه إذ قال لقومه ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم﴾ ، أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن ، وأخبركم بما هو مُدَّخرٌ في بيته من الطعام للغد ، وهذا العلم حصل باطلاع الله له عليه عن طريق الوحي ، وليس علما استقل المسيح بعلمه.[٥]

وقد حصل نظير هذا للنبي ﷺ ، فقد أخبر عن جملة من الأمور المستقبلية ، فدل هذا على نبوته ، لأن هذا لا يكون إلا عن طريق الوحي من الله إليه ، فمن ذلك أنه نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وهو بالحبشة ، والنبي ﷺ بالمدينة ، وصلى عليه صلاة الغائب.[٦]

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشا لغزوة مؤته ، فاستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وأوصاهم إن أصيب زيد فأميرهم جعفر ، وإن أصيب جعفر فأميرهم عبد الله بن رواحة ، فبينما الصحابة في المدينة مع رسول الله ﷺ إذ نَعى زيدا[٧] ثم جعفرا ثم ابن رواحة وهو قاعد في المدينة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففُتح له.[٨]

---

[١] أنَّ من الأنين ، وهو صوت البكاء.

[٢] العِشار جمع عُشراء ، وهي الناقة التي فصل راعيها ولدها عنها بعد مضي عشرة أشهر.

[٣] روى ابن حبان (٦٥٠٧) كلام الحسن.

[٤] «البداية والنهاية» (٤٠٧/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء.

[٥] انظر تفسير ابن كثير ، سورة آل عمران ، الآية: ٤٩ .

[٦] انظر صحيح البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٧] أي أخبر بموته.

[٨] رواه البخاري (١٢٤٦).

ولما نزل النبي ﷺ بدرا قبل المعركة حدَّد مواضع قتل بعض رؤوس المشركين ، فعن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله.
فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ؛ ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .[1]

وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه مشهورة ، وفيها أن رسول الله ﷺ أرسل عليا والمقداد والزبير رضـــي الله عنهم في إثر امرأة تحمل رسالة إلى المشركين ، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ» ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب إلى المشركين.
وحصل الأمر ، وأدركوها في تلك الروضة ، ومعها كتاب إلى المشركين فيه إفشاء لِسِر المسلمين.[2]
فالشاهد أن النبي ﷺ أخبر ببعض المغيبات كما أخبر بها أخوه المسيح عيسى ابن مريم ، صلى الله عليهم وسلَّم.

جميع الأنبياء

ورفعة المكانة حصلت في الدنيا لجميع الأنبياء عليهم السلام ، وقد حصل نظير ذلك وزيادة للنبي ﷺ من بين سائر الأنبياء ، فما من خطيب ولا مؤذن ولا مصلي يناجي ربه في صلاته في طول العالم وعرضه إلا ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد **أن محمدا رسول الله** ، وصدق الله إذ يقول ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

ليس هذا فحسب ، بل قد حصلت للنبي محمد ﷺ الرفعة الحسية على إخوانه الأنبياء ، وذلك لما عُرِج به إلى السماء ، وصار في مستوى فوق المستوى الذي هم فيه ، وعلا فوق السماوات التي فيها الأنبياء ، وهذا قدر زائد على ما حصل لهم من الرفعة ، قال ابن كثير رحمه الله:

ولما كانت ليلة الإسراء رُفِع من سماء إلى سماء حتى سلَّم على إدريس عليه السلام ، وهو في السماء الرابعة ، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلَّم على موسى بها ، ثم جاوزه إلى السابعة فسلَّم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرُفِع لمستوى سمع فيه صريف

---

[1] رواه مسلم (٢٨٧٣).

[2] والقصة في صحيح البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الأقلام[1] ، وجاء سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيَّعه من كُلِّ سماء مُقربوها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالِك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هي الرفعة ، وهذا هو التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلو والعظمة. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. انتهى كلامه رحمه الله.[2]

[1] صريف الأقلام أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[2] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أُعطِي إدريس عليه السلام من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ ، (٤١٩/٦).

قصيدة للشيخ جمال الدين الصرصري[1] في مدح النبي ﷺ ، وفيها مقارنة بين ما أوتي من معجزات بما أوتي من سبقه من الأنبياء من معجزات

محمد المبعوث للناس رحمةً *** يُشيِّد ما أوهى الضلال ويصلِح
لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مُجيبةً *** لداود أو لانَ الحديدُ المُصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بِكَفِّه *** وإن الحصا في كفه ليُسَبِّح
وإن كان موسى أنبعَ الماء بالعصا *** فمن كفِّه قد أصبح الماء يَطفح
وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً *** سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصِّبا[2] كانت لنصر نبينا *** ورعبٌ على شهرٍ به الخصم يُكلح
وإن أوتي المُلكَ العظيم وسُخِّرت *** له الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها *** أتته فرَدَّ الزاهد المترجحُ
وإن كـــــــــــان إبراهيم أُعطي خِلةً *** وموسى بتكليمٍ على الطور يُمنح
فهذا حبيبٌ بل خليلٌ مكلَّم *** وخُصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخُصِّص بالحوض العظيم وباللِّوا[3] *** ويشفع للعاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّبِ ناله *** عطاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها *** مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهُوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ *** له بابها قبل الخلائق يُفْتَح[4]

---

[1] هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري ، أبو زكريا جمال الدين الصرصري ، شاعر من أهل صرصر – على مقربة من بغداد – سكن بغداد ، وكان ضريرا ، له ديوان شعر صغير ومنظومات في الفقه وغيره ، منها «الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة» ، قصيدة دالية في الفقه الحنبلي ، و «المنتقى من مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم» ، وغير ذلك ، توفي سنة ٦٥٦ ، انظر ترجمته في «الأعلام» (١٧٧/٨).

[2] يقصد بقوله «اللوا» أي اللواء ، وهو لواء الحمد الذي يكون بيده يوم القيامة.

[3] أي لواء الحمد الذي يكون بيده يوم القيامة.

[4] نقل ابن كثير رحمه الله هذه الأبيات في خاتمة كتاب دلائل النبوة الواقع ضمن كتابه «البداية والنهاية».

خلاصة

خاتمة القول أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى نبيه محمدا ﷺ على الأنبياء والناس أجمعين بخصائص عظيمة وكثيرة ، جعلته أفضل الأنبياء ، وشريعته أفضل الشرائع ، وأمته أفضل الأمم ، وقد لخص العلامة ابن القيم رحمه الله تلك الخصائص فقال:

فمن ذلك أنه بُعِث إلى الخلق عامة ، وخُتِم به ديوان الأنبياء ، وأُنزِل عليه القرآن الذي لم يُنزَل من السماء كتاب يشبُهه ولا يقاربه ، وأُنزِل على قلبه محفوظا مَتْلُوًّا ، وضَمن له حفظه إلى أن يأتي الله بأمره ، وأوتي جوامعُ الكلم ، ونُصِر بالرعب في قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر ، وجُعِلت صفوف أمته في الصلاة على مِثالِ صفوف الملائكة في السماء ، وجُعِلت الأرض له ولأمته مسجدا وطهورا ، وأُسرِي به الى أن جاوز السماوات السبع ، ورأى ما لم يره بشرٌ قبله ، ورُفِع على سائر النبيين ، وجُعِل سيدَ ولد آدم ، وانتشرت دعوته في مشارق الأرض ومغاربها ، واتَّبعه على دينه أتباعٌ أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح إلى المسيح ، فأُمَّته ثُلُثا أهل الجنة ، وخَصَّه بالوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ، وبالمقام المحمود الذي يَغبطه به الأوَّلون والآخِرون ، وبالشفاعة العظمى التي يتأخر عنها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ، وأعزَّ الله به الحق وأهله عِزًّا لم يُعِزَّه بأحد قبله ، وأذل به الباطل وحزبه ذُلا لم يحصل بأحد قبله ، وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلٰهية ما لم يؤتَه نبي قبله ، وجُعِلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة ، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه ، وصلى عليه هو[1] وجميعُ ملائكتِه ، عليهم صلوات الله وسلامه ، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ، وقَرن اسمه باسمه ، فاذا ذُكِر الله ذُكِر معه ، كما في الخطبة والتشهد والأذان ، فلا يصح لأحدٍ أذان ولا خطبة ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله ، ولم يجعل لأحدٍ معه أمرا يُطاع ، لا مِمن قبله ولا ممن هو كائن بعده ، إلى أن تُطوى الدنيا ومن عليها ، وأَغلق[2] أبواب الجنة إلا عمَّن سلك خلفه واقتدى به ، وجعل لِواء الحمد بيده ، فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، وجعَله أولَ من تنشق عنه الارض وأولَ شافع وأولَ مشفع ، وأولَ من يَقرع باب الجنة وأولَ من يدخلها ، فلا يدخلها أحد من الأولين والآخِرين إلا بشفاعته ، وأُعطِي من اليقين والإيمان والصبر والثبات والقوة في أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكرِ له والقنوع في مرضاته وطاعته ظاهرا وباطنا سرا وعلانية في نفسه وفي الخلقِ ما لم يُعطه نبي

---

[1] أي الله سبحانه وتعالى.

[2] أي الله سبحانه وتعالى.

قبله ، ومن عرف أحوال العالم وسِيَر الأنبياء وأُمَمَهم تبين له أن الامر فوق ذلك ، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أنه يكون أبدا.[1]

[1] «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ، ص ١٧٧ – ١٧٨ ، تحقيق: عثمان جمعة ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله الفراغ من إعداد هذا الكتاب المبارك – إن شاء الله – والذي أراد به مؤلفه نصرة النبي محمد ﷺ بذكر الدلائل الثمانون على عِظم قدره ﷺ .

فالحمد لله على إعانته ، فحقٌ هو أن يُحمد ، وحقٌ هو أن يُعبد ، اللهم أنِر بصائرنا ، واهدِ قلوبنا ، واحشرنا تحت لواء نبيك محمد ﷺ يوم القيامة ، واسقِنا من حوضه ، كما سقيتنا من شريعته في الدنيا.

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي ، في يوم الجمعة العشرين من شهر شوال لعام ١٤٣٨ هجري، الموافق ١٤ يوليو من عام ٢٠١٧ ميلادي.

majed.alrassi@gmail.com
http://saaid.net/kutob/index.htm